الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر
رمز المذكرة: 63/017/أ.ع

المـــــوضـــوع:

صورة اليهودي في رواية"أرض الإله " لأحمد مراد

إعداد الطالبة:
بوخرشفة خديجة

إشـــراف:
أ.د شريف بموسى عبد القادر

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	رسطان رشيدة	**رئيسا**
أ.الدكتور	قدوسي نور الدين	**ممتحنا**
أ.الدكتور	شريف بموسى عبد القادر	**مشرفا مقررا**

العام الجامعي : 1439-1440/2017-2018

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَ قُلْ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولَهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[صدق الله العظيم]

إلهي، لا يطيب اللّيل إلا بشكرك، ولا يطيب النّهار إلاّ بطاعتك... ولا تطيب اللّحظات إلاّ بذكرك... و لا تطيب الآخرة إلاّ برؤية وجهك الكريم.

إلى من أدّى الأمانة...و نصح الأمّة... إلى نبيّ الرّحمة ونور العالمين عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم.

إلى من كلّله الله بالهيبة و الوقار..إلى من علّمني العطاء دون انتظار.. إلى من أحمل إسمه بكلّ إفتخار، إلى والدي العزيز.

إلى من كان دعائها سرّ نجاحي.. إلى معنى الحب والتفاني.. إلى من جرعت الكأس فارغا لتسقيني قطرة حبّ... إلى من حصدت الأشواك عن دربي لتمهّد لي طريق العلم..إلى القلب الكبير والدتي الحبيبة.

إلى من أظهروا لي ما هو أجمل بالحياة ..إلى من كانوا ملاذي و ملجئي..إلى من تذوّقت معهم أجمل اللّحظات..إلى القلوب الطّاهرة الرّقيقة و النّفوس البريئة ..إلى رياحين حياتي إخوتي الأعزاء

إلى من كان رفقتي في الحياة، صديقاتي وأحبائي وأهلي

وإلى كل من ساندني و ساعدني في إنجاز ثمرة هذا البحث

أهدي هذا العمل

كلمة شكر و تقدير

قال رسول الله عليه وسلم:

{ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ }

إذا كان هناك شكر فهو لله سبحانه وتعالى عن كثير فضله وسائر نعمته على توفيقي لإتمام هذا البحث.

كما أتوجّه بأسمى آيات الشكر والتّقدير لمن كان لي عضدا في بحثي هذا وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور" شريف بموسى عبد القادر"، الذي أنار طريقي طيلة مشوار هذا البحث، فكان خير موجّه لي رغم انشغالاته العديدة، فأمدني بنصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة، كما أشكره على تواضعه ورحابة صدره فله مني فائق الاحترام والتقدير.

كما لا تفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدو عناء القراءة، وصبروا على أعباء التحقيق والتدقيق، وإبداء ملاحظاتهم القيمة.

{وَمَا توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب}(هود:88)

مقدمة

اهتمّت الرّواية العربية بشكل ملفت وكبير بالشّخصية اليهودية، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، والاحتلال الصهيوني اليهودي لفلسطين وتشريد أهلها ويعود اهتمام الرواية العربية بالشخصية اليهودية إلى أنّ الرواية هي الفنّ القادر أكثر من غيره على تصوير المجتمعات البشرية وطرح القضايا الإنسانية بشكل عريض ومفصل والإحاطة بما تعاني من مشاكل وهموم وما يعتريها من تحوّلات وتغيّرات.

وقد شكّل اليهود جزءا من المجتمعات العربية منذ القديم، وكانوا فاعلين في الحياة السياسية و الثقافية والفنيّة والاقتصادية على مجمل التّراب العربي.

فظهرت الشخصية اليهودية في أعمال كثير من الرّوائيين ورواية "أرض الإله" للكاتب المصري "أحمد مراد" مثالا على ذلك في تجسيد أهم مكوّنات الشخصية اليهودية، وتهدف هذه الدّراسة الى التعرّف على الآخر اليهودي في الرّواية العربية، ومن هنا تظهر الإشكالية:

- ✓ كيف قدّم لنا الكاتب هذا اليهودي في روايته التاريخية "أرض الإله"؟
- ✓ وكيف رسم الجوانب التّركيبية لهذه الشخصية؟
- ✓ وهل هذا التصوير معارض للواقع أم يتقاطع معه في عدّة أماكن؟

سنحاول اِستخراج هذه الصورة من النص الرّوائي مع دراسة الإشكالية والكشف عن الوجه الحقيقي لهذه الشخصية.

وقد وقع اِختياري على هذا الموضوع للأسباب التالية:

- ✓ الرغبة والفضول في التعرّف على المجتمع اليهودي، تاريخه وواقعه وتكوينه العقائدي الغامض المشاع عنه في العالم عامّة والوطن العربي خاصة.
- ✓ اهتمامي بالرّواية خاصة التاريخية منها الّتي تدرس الجانب التاريخي للأمم و الشعوب .

وفي محاولتي لرسم صورة اليهود في مضمار الأدب، اِعتمدت القرابة الاستقرائية والتحليلية والوصفية من خلال استخراج الصّفات النفسية والجسدية والاجتماعية والكشف عن أهم ملامح اليهودي الفكرية والتاريخية.

تقع هذه الدراسة في ثلاثة فصول، خصّصنا الفصل الأول لحياة الكاتب من خلال الوقوف بداية على إنجازاته وموضوعات مؤلفاته الأدبية.

بعد ذلك انتقلنا لعرض الرّواية وتحليل عنوانها مع دراسة اللّغة الموظّفة في السرد الرّوائي وتعريف بأهم الشخصيات الّتي اعتمد عليها الكاتب في نقل أفكاره وايديولوجيته في ضبط المتن الحكائي.

أمّا الفصل الثاني عنوانه صورة اليهودي عند الشعوب: فصّلنا فيه توظيف الشخصية اليهودية في الأدب الغربي والعربي وطبيعة هذا التصوير، بشكل نضري على النصوص الأدبية.

لننتقل بعد ذلك الفصل الثالث الذي تكمن فيه الدّراسة التطبيقية لصورة اليهودي في رواية "أرض الإله" لأحمد مراد مع إستخراج أهم مكونات هذه الصورة بدءا بالصورة الجسدية وطريقة تشكيلها والغوص في أغوارها النفسية مرورا بمكانتها الاجتماعية وأهم الصّفات التي استنبطناها من النص.

ونحن بإشارتنا الى هذه النصوص لا ندّعي أنّنا قد استوفيناها حقّها من التحليل والتّقصي، فقد كان تركيز البحث على مظاهر معينة ارتبطت بأهم الصفات التي تتعلّق بالآخر اليهودي و لم نلتفت الى الجوانب الأخرى إلاّ بالقدر الذي يخدم الموضوع الأساسي للدّراسة.

واعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر أهمها:

- ✓ عادل الأسطة ، اليهودي في الرّواية العربية ،جدل الذات والآخر .
- ✓ ميساء تحسين ،صورة اليهودي في العصر المملوكي الأول (648هـ/ 784هـ)
- ✓ خالد يونس خالدي، اليهودي في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس.
- ✓ صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم,

ومن بين الصعوبات التي واجهتها في دراستي لهذا الموضوع :

ضيق الوقت ومحاولة الإيجاز قدر الإمكان ،لأنّ موضوع البحث عميق يحتاج الى مساحة كبيرة في التحليل والاستقراء .

أما الخاتمة فقد تضمنت عرضا لأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدّراسة .

وفي الأخير نحمد الله بما يليق بجلاله على توفيقه لي، وأتوجّه بخالص الشكر والامتنان لأستاذي المشرف: أ.د شريف بموسى عبد القادر، الذي كان لي نِعم السّند ونِعم المرشد، ولم يبخل عليّ بتوجيهاته، ونصائحه، كما اتقدّم بجزيل شكري الى الأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة اللذين تفضّلا بقراءة رسالتي ومناقشتها.

بوخرشفة خديجة

تلمسان في: 25-05-2018.

الفصل الأول

أحمد مرد وروايته "أرض الإله"

الإبداع الرّوائي نتاج إنساني، تتجلى فبه الذات الإنسانية بكل أبعادها وجماليتها ووقائعها الحياتية المعيش والتّاريخية أيضا.

هو تلك المساحة الخصبة من الرؤى التي يتقاطع فيها الخيالي بالحقيقي، والوهم بالواقع، «محاولة خلق حياة أخرى موازية، تتحاور وتتلاقى وتشتبك مع الماضي والحاضر والمستقبل، تشتبك مع التاريخ الحضاري أو الإنساني أو الشخصي، ومع الجغرافيا القائمة، ربما ليقدّم رؤيا بديلة متفرّدة، أو جغرافيا مغايرة مدهشة، تتجاوز الواقع في تفاصيله وتشكيلاته لكنّها لا تمحوه»[1]

تجربة أحمد مراد في التصوير تجعله يقدّم المكان في حلّة تصويريّة بديعة تهيّء القارئ للتفاعل معها والحلول فيها وكأنّه في حضرة فيلم سينمائي، فهو يمسح حلبة القصّة الرّوائية مسحا شاملا، مسجّلا ملاحظاته ومصوّرا العوالم الحساسة المنسجمة معها ومدوّنا الأحداث والشّخصيات التي تغمرها وتتفاعل معها.

1. ترجمة لحياة الكاتب:

أ- السيرة الذاتية:

أحمد مراد كاتب ومصوّر ومصمّم جرافيك مصري، ولد في ١٤فبراير ١٩٧٨ بالقاهرة، تخرّج من مدرسة ليسيه الحرّية بباب اللّوق عام ١٩٩٦، قبل أن يلتحق بالمعهد العالي للسينما ليدرس التصوير السّنمائي وتخرّج منه عام ٢٠٠١ بترتيب الأوّل على قسمه.

حصدت أفلام تخرّجه: الهائمون - الثلاث ورقات – في اليوم السّابع، العديد من الجوائز في مهرجانات أوروبية من إنجلترا وفرنسا وأوكرانيا.

[1]- ينظر: رضا ياسين ،قراءة نقدية /متاهات التاريخ.. في أرض الإله لأحمد مراد www.alraimedia.com/Home/Details?ld=73246713-c2016

ب- أهم إنجازاته:

بدأ مشواره الكتابي في ٢٠٠٧ عندما نشر روايته الأولى " فيرتيجو" ،التي تلقت نقدا جيّدا ونجحت على الصّعيد التّجاري ،إذ نشرت في نفس العام من دار (ميريت) ،قبل أن تترجم للّغة الإنجليزية عن دار (بلوميزبيري) ،ثم الى الإيطالية عن دار (مارسيليو) ،والفرنسية عن دار (فلامريون) ثم تحوّلت الرّواية لمسلسل تلفزيوني في٢٠١٢ ونالت جائزة "اللبحر الأبيض المتوسّط للثقافة" لعام ٢٠١٣ من إيطاليا ، و تدور أحداثها حول مصوّر أفراح -أحمد كمال- قادتة الصّدفة البحتة لأن يصوّر معركة دمويّة بين كبار رجال الأعمال في مصر في ملهى ليلي "فيرتيجو" ،اضطرّت فيها الشّخصية المحوريّة للهروب و الاختباء، وأدّت به هذه المصادفة لخوض رحلة مليئة بالغموض ،يكشف فيها أسرار وفضائح يحاول أصحابها اخفائها بأيّ ثمن.[1]

شجّعه نجاح "فيرتيجو" على نشر روايته الثانية "تراب الماس" في ٢٠١٠ وتم ترجمتها هي الأخرى لعدّة لغات، الإيطالية والألمانية، واعتمد فيها على الجريمة السياسية، فأحداث الرّواية تدور حول الكواليس الخفيّة لجريمة قتل بأسلوب مشوّق وجذّاب، كذا يعرّج فيها الكاتب لفساد المجتمع من فساد وسط كل طبقات المجتمع وسيطرة السّلطة التي تمتدّ لأجيال![2]

أصدر الكاتب أحمد مراد رائعته الفيل الأزرق في أكتوبر ٢٠١٢ التي حقّقت نجاح جماهيري كبير حيث نالت المركز الأوّل في مبيعات الكتب بمعرض القاهرة الدّولي والتي فازت بجائزة البوكر العربية عام ٢٠١٤م، يأخذنا الكاتب في روايته الثالثة الى كواليس عالم غريب قضى عامين في دراسة تفاصيله، رحلة مثيرة يستكشف فيها أعمق وأغرب خبايا النّفس البشرية، تعدّ رواية نفسية بامتياز

[1] - www.arageek.com/bio/ahmed-mourad

[2] -مكتبة مؤلّفات وروايات أحمد مراد .إياد طاهر www.almasaf.com/post/427941

وتحوّلت لعمل سينمائي عام ٢٠١٤.[1]

أتبعها برواية ١٩١٩ التي تعتبر من الأدب التاريخي، تدور أحداثها في القاهرة، في قبيل وأعقاب ثورة ١٩١٩، فيصفها لنا وصفا دقيقا بتفاصيل تاريخية وشخصيات حقيقية عاشت تلك الفترة أمثال سعد زغلول وعوالم البغاء، ومن يحكم مصر حقا وظروف الأسر الارستقراطية في ذلك الوقت. [2]

خاض التجربة التاريخية نفسها مع روايته الخامسة "أرض الإله" عام ٢٠١٦، تلقي الرّواية الضوء على العديد من الحقائق التي غابت عن الأذهان حول التاريخ المصري القديم الذي تعرّض للطمس والتّزييف.

وصدرت آخر مؤلفاته رواية "موسم صيد الغزلان" سنة ٢٠١٧، ينطلق الكاتب فيها مباشرة من التاريخ المصري القديم الى المستقبل، تجربة مختلفة وجديدة عمّن سبقها، تناقش الصّراع الأبدي بين العقل والمنطق، وتخوض في جدليّة العلم والدّين..[3]

عشر سنوات من الابداع أثرى بها أحمد مراد الثقافة العربية حقّق من خلالها ست روايات من روائع الأعمال الأدبية المعاصرة ذات طابع خاص به، تمتاز بالغموض وكثرة الألغاز والأسرار والأحداث والمغامرات الشيّقة والممتعة التي تسترعي انتباه القارئ وتشدّ تفكيره.

كان أحمد مراد بارعا في التّصوير إذ كان من مصوّري الرئيس المخلوع "حسني مبارك" وعمل كذلك في تصميم أغلفة الرّوايات لدور النّشر مثل: ابن النّفيس، والرّواق، ودوّن.[4]

---

[1] – شيماء شناوي. أحمد مراد. 10سنوات من الابداع. نشر في 25اكتوبر 2017
www.shourouk news.com/view.aspx ?adate=25102017&id=16437a17

[2] – www.arageek .com/bio/ahmed-mourad

[3] – أدب وثقافة/أحمد مراد. موسم صيد الغزلان– 1072348

[4] – www.arageek.com/bio/ahmed –mourad

2. تقديم عام للرّواية:

تقع رواية "أرض الإله" في ٣٩٦ صفحة، وصدرت الطبعة العربية الأولى لها في أبريل من العام ٢٠١٦ عن دار الشروق، في القاهرة مصر.

هي الرّواية الخامسة للكاتب المصري أحمد مراد، وتدرج في الأدب التاريخي وتعتبر الثانية من هذا النّوع بعد روايته ١٩١٩.

تدور أحداثها قبل ميلاد المسيح ب ٢٥٠ عاما، أثناء حكم البطالمة لمصر وتلقي الضوء على العديد من الحقائق الغامضة في التاريخ المصري القديم.

أ- ملخص الرّواية:

الرّواية تنتقل بين فترات زمنية مختلفة، وكل زمن فيها يسرد أحداث ساهمت في بناء هذا العمل الأدبي.

فأحداث الزمن الأول يدور بمبنى القنصلية في ربيع عام 1924، لتنتقل لنا أحداثها الى فترة زمنية ثانية هي الأخرى تحديدا في فترة 250 قبل الميلاد، وهي زمن حكم البطالمة لأرض مصر، وهنا يعلن الكاتب عن قصّة البرديات التي تحمل حقائق تاريخية حول بني إسرائيل، والتي تسعى الشخصيات اليهودية الى إخفائها وتزويرها

تنطلق مجريات أحداث الرّواية على وقع جريمة شنعاء تهزّ معبد الأسوار السبعة بمدينة سمنود التي راح ضحيتها الكاهن الأعظم مانيتون السمنودي على يد قاتل مجهول، حيث يكتشف الكاهن كاي جثّة معلّمه مانيتون ويحاول تقصي أثر القاتل حتى يعثر على لغز غامض مكوّن من ثلاثة أرقام، بعد فك شفرة الأعداد يصل الى برديات معلّمه التي كان ينوي ترجمتها قبل هلاكه.

واضطرّ كاي الى الهرب من معبده الذي تربى فيه بسبب ملاحقات رئيس قصر فيلادلفيوس اليهودي مردخاي له، وخوفا من ملاقاة نفس مصير معلّمه الكاهن الأعظم، إذ يحاول جاهدا حماية البرديات وترجمتها لإتمام مهمة معلّمه من خلال عدّة مطاردات وترصّدات مردخاي ورجاله التي نجا منها بأعجوبة! لحماية التاريخ من التزوير والضياع.

ومن خلال ترجمة البرديات ترجع أحداث الرّواية لزمن أقدم، تحديدا حوالي 1350 قبل الميلاد وتحكي القصة الحقيقية لنبي موسى عليه السلام مع ملك الرّعاة فرعون وبني إسرائيل- حسب الكاتب أحمد مراد- وتتناول قصّة هذه المخطوطات أكبر جزء من الرّواية، فهي تركّز على سرد تاريخ دخول بني إسرائيل الى مصر مع النبي يوسف عليه السلام وأكرمو لأجله ولأجل حكمته في إدارة البلاد في فترة المجاعة التي اجتاحت مصر، إلاّ أنّهم اصطفوا أنفسهم ك" شعب الإله المختار" وحقّروا من شأن كل الأمم دونهم ولا سيما المصريون، وأنكرو الأنبياء والرّسل، وعلى رأسهم إدريس، وأخذوا تعاليمه ونسبوها الى أنفسهم.

ثم يذكر أحداث تعرّضهم للاضطهاد على يد فرعون بسبب حلم مفاده أنّ غلام من بني إسرائيل سيكون نهاية لحكمه، فكان جنده يقتل كل وليد ذكر من بني إسرائيل، ويعّبهم ويستحيي نسائهم حتى بعث الله فيهم نبيّه موسى عليه السلام ليخرجهم من مصر وعذاب فرعون الى أرض الميعاد.

ويظهر الكاتب مساعي اليهود الحثيثة في الاستحواذ على ما ليس من حقّهم عن طريق تزييف التاريخ وإخفاء ما قاموا به مع كليم الله موسى عليه السلام، والسعي الدّؤوب للاستلاء على حكم مصر عبر خطّة محكمة نلمس تفاصيلها في الرّواية.

ينتقل أحمد مراد برشاقة بين الزمنين المختلفين، يسرد الوقائع التاريخية والدّينية في عدّة مشاهد مستعينا بالحبكة الدرامية من خلال قصّة حب كاي ونانديا الفتاة المضطربة، التي ستأسر قلب الكاهن في رحلة مشوّقة ومثيرة تكمّل عناصر الرّواية.

ب- عنوان الرّواية:

يعتبر عنوان العمل الرّوائي عتبة الدّخول الى متن الرّواية، وعرّفته الناقدة العربية بشرى البستاني على أنّه: "رسالة لغوية، تعرّف بتلك الهوّية وتحدّد مضمونها وتجذب القارئ إليها، وتغريه بقراءتها، وهو الظّاهر الذي يدلّ على باطن النّص ومحتواه".[1]

وعنوان رواية "أرض الإله" يحمل اِسما ملفتا ومميّزا على المستوى الأدبي، تغلب عليه الصبغة الدّينية، يثير انتباه القرّاء ويشدّ الباحثين لما يحمله من تشويق والمعرفة الأدبية والبعد الثقافي على المستوى الدّيني والتّاريخي.

ويقصد الكاتب بـــ "أرض الإله": اِيجيبت، أي بلاد مصر وأطلق عليها الاسم بدافع تاريخي، يكشف أنّ مصر كانت معبر لعديد من الأنبياء والرّسل وأرضها شاهدة على مرور العديد منهم.

ج- لغة الرّواية:

"تعدّ اللّغة العنصر الأساسي في بناء الرّواية وتشكيل عالمها الفني، وهي الوعاء الذي يصبّ فيه الرّوائي أفكاره، ويجسّد رؤيته في صورة محسوسة من خلال اِستعمال مفردات وتراكيب، أو تعبيرات تقريرية، أو أساليب اِيحائية، من رموز وتعبيرات تناصية".[2]

نلاحظ أنّ لغة أحمد مراد في "أرض الإله" أكثر بلاغة بكثير من رواياته السابقة، التي مزج فيها العامية بالفصحى، حيث اعتمد في هذه الأخيرة على اللغة العربية الفصحى، التي تليق بموضوع الرّواية والأزمان والأحداث التي تدور بها، من وقائع تاريخية ودينية.

---

[1] – بشرى البستاني. قراءات في الشعر العربي الحديث. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1. 2002. ص:34

[2] – ينظر: عبد الرحيم حمدان، اللّغة في "تجليات الروح" للكاتب "محمد نصار"، مجلة الجامعة الإنسانية، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، قسم اللغة العربية، دير البلح، غزة. فلسطين. سنة: 2008، ص: 104.

حيث تروي البرديات بعض الأحداث التي ذكرها الله في القرآن الكريم وفي السنّة النبويّة الشريفة، وسنجد بعض الألفاظ المتطابقة من نصوص البرديات مع تناص المصطلحات والعبارات من القرآن الكريم.

أما فيما يخصّ الخطاب الرّوائي، استخدم أحمد مراد عربية بسيطة البناء، دون تعقيدات لغوية، بها مواطن جمالية عديدة، خاصة في طريقة وصفه للمشاعر المختلفة.

د- زمن الرّواية ومكانها:

استهل الكاتب أحمد مراد رواية "أرض الإله" بالقصة الإطار التي جرت أحداثها في الزمن الحاضر، وبالتحديد في ربيع عام ١٩٢٤ بمبنى القنصلية البريطانية بالقاهرة، وقعت مشادّة كلامية بين السيّد: "هنري بانكروفت" و"هوارد كارتر" مكتشف أهم مقبرة في القرن العشرين، مفادها رفض مصلحة الأثار المصرية ومكتب رئيس الوزراء "سعد زغلول" تحديد تصريح التنقيب الخاص بالمقبرة، بسبب التلاعب بسجلاّت مقبرة "توت عنخ أمون" ومحاولة إخفاء بعض القطع الأثرية وعدم تدوينها، وينتهي الحوار بتهديد كارتر بفضح نصوص البرديات التي عثر عليها بغرفة دفن الملك إن لم يتلقى ترضية كافية وعادلة.

مباشرة تنتقل عدسة الكاتب الى الوراء، أكثر من ألفي عام، وبالتحديد عام ٢٥٠ قبل الميلاد في معبد الأسوار السبعة بمدينة سمنود، أيام حكم بطليموس الثاني (فيلادلفيوس) لمصر، حيث يكتشف الكهنة مقتل الكاهن الأعظم بسبب اعادته جمع وترجمة البرديات.

هنا يتخذ ترجمة البرديات مدخلا لفتح نافذة في زمن أقدم، تستعرض فيها حياة النبي "موسى" عليه السلام مع "فرعون" وكيف أخرج بني إسرائيل من مصر بحثا عن أرض الميعاد.

فأغلب احداث الرّواية جاءت على أرض ايجيبت (مصر)، كانت تمرّ بالإسكندرية ومعبد أون، وحي دالتا، أما أحداث "موسى" عليه السلام، فكانت تتنقل بين أرض الفيروز وهوارة وغيرها.

هـــ- شخصيات الرّواية:

يعرّف الباحث المغربي "حميد لحميداني" الشخصية الرّوائية بأنّها: "الشخصية الفاعلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية، والتي يمكن التّعرف عليها من خلال ما يخبر به الرّاوي، أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها، أو ما يستنتجه القارئ من أخبار، عن طريق سلوك الشخصيات".[1]

تحفل الرّواية بعدد كبير من الشخصيات التي تنتمي الى طبقات متنوّعة من أفراد المجتمع، مختلفة بين شخصيات حقيقية من الوسط الديني والتاريخي، كشخصية "فرعون، موسى، هارون، هامان، قارون، السّامري، وغيرهم.

إضافة الى وجود شخصيات خيالية وهمية من صنع الكاتب لخدمة السّرد الرّوائي، نذكر منها الشخصية الرئيسية:

- شخصية كاي:

تلميذ الكاهن الأعظم مانيتون، وهبه عمّه للمعبد بعد وفاة أبيه، ذكي وسريع البديهة، وشديد البراعة في الفراسة تقصي الأثر على يد والده، يقرأ الوجوه ليعلم ما في الصدور، ويقرأ الكفوف ليستكشف الحالة الصحيّة والمزاجية للمرء، تعلّم الكتابة حتى بلغ مرتبة كاهن مجنّح.[2]

- شخصية مردخاي:

يتضح من اسمه أنّه يهودي من أبناء حي دلتا، ذكي وماكر، لا تعرف خبيئته، يعرف متى يتكلّم ومتى يلتزم الصّمت، اجتهد في السّعي وتقلّد المناصب حتى أصبح رئيس الخاصة الملكية، ومقرّبا من الملك لا يقطع أمرا دون استشارته بلقبّه بالقط نضرا ليقظته ودهائه"، كان بمثابة الأب لأبناء اليهود

[1] - حميد الحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، الغرب، ط1، 1991.
[2] - ينظر: أحمد مراد، أرض الإله، ص:9.

وفخرا لشيوخهم، يكنّ الولاء لبني جنسه، وقرّة عين والدته راغوث، طبيبة الحيّ دلتا والعقل المدبّر للمخطط الذي يسير عليه اليهود في مصر.

- شخصية ناديا:

ابنة الطبيب المصري عزيز، والتي تلقّفها الفقر والعوز بعد هروب أبيها، فعملت كعازفة للنّاي وراقصة في حي إليوسيس.

يصفها الكاتب في مقاطع من الرّواية، فيقول: "الخصلات المموّجة الثائرة حول رأسها.. فم واسع يفتر عن أسنان بيضاء، وشفتان غائران في وجنتين عاليتين.. رموشها طويلة ظللت رواد الحانة، وعيناها شديدتا السواد.. الفتاة ذات النّفسية المضطربة.."[1]

وتبرز الشخصيات الرئيسية في النص شخصيات ثانوية تظهر في مواقف محدّدة لتؤدي دورا مساندا للرّاوي، مثل:

- شخصية عزيز:

الطبيب الهارب من الإسكندرية، الذي كان من سكان حي راقودة، والد ناديا، سقط ضحيّة مرابي حي دلتا من اليهود، بسبب كثرة الضرائب الذي استفزّه بها في فوائد ديونه بعمل ابنته عنده كعاهرة عوض الدّفع، ممّا دفع عزيز لطعن اليهودي والهرب الى المستنقعات، وكانت تلك المرّة الأخيرة التي يرى فيها ابنته ناديا.[2]

[1] – ينظر: المصدر نفسه، ص:73.

[2] – ينظر: أرض-الإله-أحمد-مراد/www.graatlak.com

جمعته الصّدفة مع كاي إذ قام بمداوته والاعتناء به.

- شخصية أرام:

الشاب اليهودي وتاجر الكلاب المولیسيّة، قويّ البنية وضخم المظهر، يثير الرّعب فيمن يحيطون به: "لا أنصحك الاقتراب من الكلب، فصدره ضيّق حرج ككلابه"[1]، الحبيب الغاشم، فهو حبيب ناديا السابق قبل أن تهرب منه!

[1] -أحمد مراد، أرض الإله، ص:117.

الفصل الثاني
صورة اليهودي عند الشعوب

لقد كثرت الكتب والمؤلفات والمصادر التاريخية التي تتحدّث عن اليهود وفصلت في حياتهم، وذلك أن المشكلة اليهودية مشكلة معقّدة، مزمنة على طول التاريخ الإنساني، حيث كان لوجودهم أثر بالغ (سواء بالسلب أو الإيجاب).

ولهذا نلحظ وجودهم البارز في المسيرة الإبداعية التي تعكس صورة اليهودي في نظر الشعوب، وهذا ما سنعرضه في هذا الفصل.

1. صورة اليهودي عند العرب:

باعتبار قضية يهود البلاد العربية من القضايا المثيرة للجدل فقد اعتاد اليهود الساكنون في الحجاز سابقا على طباع الحياة العربية وتعاملوا مع الجوار العربي اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، فعرفوا اللغة العربي، والعادات والتقاليد والقيم العربية.

أ- حضور اليهود في الشعر القديم:

إنّ لليهودي في الأدب الجاهلي أثر كبير على ظهوره ما كان بين العرب وبين اليهود، فقد تشاركوا في جميع المرافق الحيوية في الجزيرة العربية، فقد عاش اليهود حياتهم الخاصة ومارسوا المهن التي تحقق لهم دخلا، حيث يرى الدكتور نصرت عبد الرحمن أنّ «أكثر الصّور اليهودية ظهورا في الشعر الجاهلي هي صورة اليهود أصحاب حانات الخمر»[1].

وتظهر خبرة اليهود بتعتيق الخمور، وإتقان صناعتها من خلال ما قاله الأعشى (ميمون بن قيس) معجبا بالخمار اليهودي الذي يصلي على خمرته، ويدعو ويتعوّذ[2]، فيقول:[3]

وَصَحْبَاءٌ طَافَ يَهُودِيُّهَا وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خَتَمْ

[1] : عبد الرحمن نصرت، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، مكتبة الأقصى، عمان، ط2، 1982، ص 27.

[2] : ينظر: ميساء تحسين، صورة اليهودي في العصر المملوكي الأول(648هـ/784هـ)،إشراف رائد عبد الرحيم، أطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف: د، رائد عبد الرحيم، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2013، ص 4.

[3] : الأعشى: أبوبصير ميمون بن قيس (ت 7هـ)، ديوان الأعشى الكبير(ميمون بن قيس)، مجلة مجمع اللغة العربية الفلسطيني، ع24، 2000، ص 23.

وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دُنِّهَا وَصَلَّى عَلَى دُنِّهَا وَارْتَسَمْ

ويوافقه القول الشاعر عدي ابن زيد العبادي:[1]

صَانَهَا التَّاجِرُ اليَهُودِيُّ حَوْلَيْـــ ـــنِ فَأَذْكَى مِنْ نَشْرِهَا التَّعْتِيقُ

ثُمَّ فَضَّ الخِتَامَ عَنْ حَاجِبِ الدِّ مْ نِ وَحَانَتْ مِنَ اليَهُودِيُّ سُوقُ

وتظهر صورة التّجار أصحاب السّفن[2] في قول عبيد الأبرص[3]:

جَوَانِبُهَا تَغْشَى المَتَالِفَ أَشْرَفَتْ عَلَيْهِنَّ صُهبٌ مِنْ يَهُودَ جَنُوحُ

ولم يقتصر شعراء العصر الجاهلي الحديث عن خبرة تجار الخمر من اليهود، فقد ذكروا بنيان اليهود ووصفوا ضخامته إذ ما أرادوا أن يشبهوا شيئا بالضخامة، فهذا امرؤ القيس يشبّه ناقته لطولها ببنيان اليهودي، إظهارا لقوتها وصلابة عودها[4] فيقول[5]:

فَعَزَّيْتُ نَفْسِي حِينَ بَانُوا بِجِسْرَةٍ أَمُونٍ كَبُنْيَانِ اليَهُودِيِّ خَيْفَقِ

ويظهر إعجاب الأعشى بحصونهم، وبخاصة حصن الأبلق الذي كان لعاديا والد السموأل فيقول:

وَلاَ عَادِيًا لَمْ يَمْنَعِ المَوْتَ مَالَهُ وَحِصْنُ تَيْمَاءَ اليَهُودِيُّ أَبْلَقُ

ووقف الشعراء عند صفات اليهود الإيجابية، ولم يذكروا لهم صفات سلبية حيث أشار الأعشى إلى خلق الوفاء الذي اتّصف به السموأل، يقول:

كُنْ كَالسَّمَوْأَلِ إِذْ سَارَ الهُمَامُ لَهُ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

إِنَّ لَهُ خَلَفًا إِن كُنْتَ قَاتِلُهُ وَإِنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ عُوَّارِ

مَالاً كَثِيرًا وَعِرْضًا غَيْرَ ذِي دَنَسٍ وَإِخْوَةٌ مِثْلَهُ لَيْسُوا بِأَشْرَارِ[1]

---

[1] : العبادي، عدي ابن زيد بن حماد بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيبد، د.ط، بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت، ص 17.

[2] : ينظر: عبد الرحمن نصرت، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ص 27.

[3] : ابن عوف، عبيد بن الأبرص (ت 25 ف.هـ)، ديوان عبيد ابن الأبرص، شرح وتقديم : عمر فاروق الطباع(د.ط)، دار القلم، بيروت، 1994، ص 30.

[4] : ينظر: عبد الرحمن نصرت، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ص 27.

[5] : امرؤ القيس ابن حجر الكندي (ت 80ق.هـ)، ديوان امرئ القيس، بيروت، دار صادر، 1958، ص 134.

أما في شعر عصر صدر الإسلام، فقد ظهر اليهود بصورة مغايرة، بسبب معاداتهم للمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم، واختلاف العقيدة، فعندما غزا الرسول صلى الله عليه وسلم بني قريظة، وقف حسان بن ثابت منافحا عن المسلمين واصفا شجاعتهم في قتال اليهود وناعتا اليهود بالذل والهوان[2]، حيث يقول[3]:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَاءَهَا ... وَمَا وَجَدَتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصِيرِ
أَصَابَهُمْ بَلاَءٌ كَانَ فِيهِمْ ... سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّضِيرِ
غُدَاةَ أَتَاهُم يَهْوَي إِلَيْهِمْ ... رَسُولُ اللهِ كَالقَمَرِ المُنِيرِ
لَهُ خَيْلٌ مُجْنَبَةٌ تُعَادِي ... بِفُرْسَانِ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ

كما يشير إلى خيانة اليهود ونقضهم العهد الذي كانوا قد قطعوه أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنهم خانوه، وتآمروا عليه، ما أورثهم ذلا وإهانة فيقول[4]:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظةُ مَا عَظَاهَا،	وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلُ
وَسَعْدٌ كَانَ أَنْذَرَهُمْ نَصِيحاً	بِأَنَّ إِلٰهُهُمْ رَبٌّ جَلِيلُ
فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ العَهْدِ حَتَّ	غَزَاهُمْ فِي دِيَارِهِمِ الرَّسُولُ

ويشير الشاعر كعب بن مالك إلى صفة الغدر التي امتاز بها اليهود، وبكفرهم بالله عز وجل، مع علمهم بصدق الإسلام، وصدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام فيقول:

لقد خَزِيَتْ بِغَدْرَتِها الحُبورُ ... كَذَاكَ الدّهْرُ ذو صَرفٍ يَدُورُ
وَذلِكَ أَنَّهُمْ كَفَروا بِرَبٍّ ... عَزِيزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرٌ[5]

[1] : امرئ القيس، ابن حجر الكندي(ت 80ق.ه)، ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1958.، ص 117.
[2] : ينظر: ميساء تحسين، صورة اليهودي في العصر المملوكي الأول (648م/784) أطروحة ماجستر، 2013، فلسطين، ص: 10.
[3] : حسان بن ثابت الأنصاري(ت 54هـ)، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح: محمد عزت نصر الله، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ص 133.
[4] : المرجع نفسه، ص 196.
[5] : ابن هشام جمال الدين أبو محمد (ت218)، سيرة ابن هشام، تحقيق: إبراهيم الأبياري، د.ط، بيروت، ج3، ص 205.

فالعداء ظاهر والجدل واضح بين اليهود والمسلمين من خلال ما خلفه العصر الإسلامي على شكل تراث شعري كبير برسم صورة قاتمة لليهود تعج بصفاتهم السلبية كالكذب والكفر والخداع وخيانة العهود والمواثيق[1].

أما في العصر العباسي فقد طغت الصورة السلبية على الصور الأخرى لليهود، إذ جاءت مواكبة لصورتهم التي أبرزها القرآن الكريم[2]. أما عن صورهم الإيجابية فلا نكاد نعثر عليها سوى في بعض المواقف القليلة في هذا العصر الذي يحفل بازدهاره الثقافي والفكري وإنتاجه الأدبي شعرا كان أم نثرا والذي يعد وثيقة تاريخية مهمة تكشف عن طبيعة العلاقات العربية اليهودية، فنجد المتنبي يكشف عن دهاء اليهود وفطنتهم، عندما يشير إلى الرجل الذي استخفى عن الناس و لم يعرفه أحد، إلا اليهودي، فيقول[3]:

لا تَلومَنَّ اليَهودِيَّ عَلى أَن يَرى الشَمسَ فَلا يُنكِرُها
إِنَّما اللَومُ عَلى حاسِبِها ظُلمَةً مِن بَعدِ ما يُبصِرُها

ويأتي الشاعر أبو العلاء المعري على ذكر اليهود في شعره، فيشير إلى خيانتهم للعهود والمواثيق، وينعتهم بالجهل وسفاهة الرأي، يقول[4]:

تَرْجُو يَهُودَ المَسِيحَ أَنْ يَأْتِي وَتَأْمَلِ الدَّهْرَ أَنْ يَهُودَا
وَكَيْفَ تَرْعَى لَهُمْ عُهُودٌ مِنْ بَعْدِمَا ضَيَّعُوا العُهُودَا

واليهود من منظور الجاحظ يفتقرون للحكمة والأدب، والسياسة ومنغلقين على حياتهم الخاصة على الرغم من حضورهم في العصور جميعها، فيردف قائلا[5]:« وكيف لا تقضي عليهم

[1] : ميساء تحسين، صورة اليهودي في العصر المملوكي الأول (648م/784هـ)، ص 13.
[2] : ينظر: شاكر محمود شاكر، اليهودي في الأدب العباسي، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، أطروحة ماجستير، إشراف: د. علد الخالق عيسى نابلس، فلسطين، 2014، ص 128.
[3] : أبو الطيّب المتنبي، أحمد بن الحسين، (ت345ه): ديوان المتنبي، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت، 1969 ص 185.
[4] : أبو العلاء المعري، حياته وشعره، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986، ص 195.
[5] : شاكر محمود شاكر، اليهود في الأدب العباسي، ص 87.

بالغيّ والجهل، و لم تسمع لهم بكلمة فاخرة أو معنى نبيه لا ممن كان في المبدى، ولا ممن كان في المحضر، ولا من قاطني السواد، ولا من نازلي الشام»[1].

أما في العصر الأندلسي، فتبدو صورة اليهود مغايرة لما سبق، فقد كان لهم حضور في الشعر العربي، فعندما فتح المسلمون الأندلس، رفعوا الاضطهاد عن اليهود وعاد معظم المنصرين منهم إلى دينهم، وتعاملوا معهم وفق الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة، فسمحوا لهم بالبقاء على دينهم وممارسة شعائرهم... وحفظوا لهم أرواحهم وأموالهم وحقوقهم، فشهدوا عدلا وتسامحا وحرية لم يعرفوها من قبل[2].

وتحدث الشعراء الأندلسيون عن حياة اليهود الاجتماعية من خلال الحديث عن اللباس الذي فرض عليهم، فقد كان الزنار صفة جمال وأنوثة لمحبوب يهودي، عند أبي زكريا التجبيي فيقول[3]:

أَتَى يَحمِلُ التَّورَاة ظَبياً مُزنراً لَطِيفَ التَّثَنِي أَشنَبَ الثَّغرِ أَلعَسَا
وَقَابَلَ أَحبَارَ اليَهُودَ بِوَجهِهِ فَبَارَكَ رَبِّي عَلَيهِ وَقَدَّسَا

وقد ظهر هجاء لليهود عامتهم دون تمييز بينهم، كما جاء في قول ابن جزي الكلبي، حيث يقول[4]:

وَرُبَّ يَهُودِيٍّ أَتَى مُتَطَيِّبًا لِيَأخُذَ ثَارَاتَ اليَهُودِ مِنَ النَّاسِ

فقد وصفهم بالحقد وسوء السريرة، مع أنّ ظاهر الأبيات يوحي بهجاء الأطباء إلا أنه أراد هجاء اليهود بعامة[5].

---

[1] : الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج3، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1964 ص 270.

[2] : خالد يونس خالدي، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، رسالة دكتراه، إشراف: خليل إبراهيم الكنيسي مكتبة ومطبعة: دار الأرقام، غزة، فلسطين ، 2011، ص: 11.

[3] : أحمد بن محمد المقري(ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت ج8، ط1، 1986م، ص 38.

[4] : المرجع نفسه، ص 80.

[5] : ينظر، نافزة ناصر، اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس، دار محمد دنديس للنشر، عمان، 2010م ص 214.

لم ينقطع وجود اليهود بشرا ودينا وطقوسا عن الأدب العربي الذي طرح هذه المسألة بنسب متفاوتة وطرائق مختلفة عن تصوّر هذه العلاقة في محاولة التعايش قديما في البلاد العربية، لكن انقلبت الموازين واشتد الصراع والجدل ضدّ الآخر اليهودي في الأدب العربي الحديث والمعاصر عندما أقام اليهود كيانهم عنوة في فلسطين، إذ توجهت أقلام الأدباء والمفكرين بمنظور قومي تهاجم العدو الاسرائيلي للعرب عامة وفلسطين خاصة.

ولقد جاءت الرواية العربية في العصر الحديث لترصد هذا اليهودي وترسم صورته بشكل ملفت للنّظر.

ب- اليهود في رواية عبد الرحمن منيف" أرض السواد":

أنجز عبد الرحمن منيف روايته" أرض السواد" سنة 1999[1]، وتجري أحداث الرواية في الفترة ما بين(1802و 1821)، وهي فترة حكم داود باشا العراق[2]، إذ تجري أحداث الرواية ببغداد والتي احتضنت مجموعة من الشخصيات متعدّدة العرقيات ومختلفة الأديان من المسلين ومسيحين ويهود منها الحقيقية والمتخيلة.

ومن خلال النص الروائي تكاد الشخصية اليهودية تكون رئيسية، فهم يملكون المال، ولهم علاقات مع الحكام، وأن الحكام بحاجة إلى أموالهم فمثلا شخصية ساسون التاجر، في نظر عزرا كان داهية من خلال الرواية، إذ يرد على لسان السارد[3]: «كان عزرا على يقين أن ساسون مثل أسماك الأنهار الجبلية: أشواك كثيرة ومرونة في الحركة والانتقال، لكن لا تغادر

[1] : عبد الرحمن منيف، أرض السواد، بيروت، 1999.

[2] : ينظر: ماهر جرار، أرض الإله، وحضار السرد، قراءة أولى في رواية عبد الرحمن منيف مجلة الطريق اللبنانية، عدد4، 2000م، ص 129-158.

[3] : ينظر: عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية جدل الذات والآخر،، د.الرقمية، رام الله، فلسطين، 2012، ص:196.

محيطها، إذ لو فعلت لن يقدر لها أن تعيش، قد تختفي فترة، قد تموه نفسها، لكن لا بد أن تظهر حالما تشعر بالأمان»[1].

فاليهودي هنا مؤذ، ولكنه مرن، وهو يتوارى عن الأنظار إذا ما كان هناك خطر يهدده، ولكنه يظل مرتبطا بالمكان الذي تشأ فيه، وهو حكم صادر عليه من أحد أبناء ملته[2].

وفي تصوير آخر لليهود، يقول ريتش لحسقيل: «التغيير لكي يحصل، يحتاج إلى إمكانيات، وهذه لا توفرها إلا الأموال ومن أجل تأمين تلك الأموال، لا بد من الاتفاق على صيغة بين الدولة والذين يملكون المال، وهنا يأتي دوركم»[3].

يشير إلى خبرة اليهود ودرايتهم بالتعامل مع المال وحرصهم الشديد في انفاقه، إذ أن حبهم المال يسري في دمهم.

لم تختلف صورة اليهود في أرض السواد اختلافا جذريّا عن الصورة التي عرفتها الأداب العربية قبل القرن التاسع عشر من حيث أنهم تجار مولعين بالمال لدرجة أنه يغدو معبودهم، ويصبحون في هذا مضرب مثل.

كذلك احتلالهم المناصب البارزة في الدولة والمجتمع، والمرأة اليهودية في الرواية بغي وجاسوسة وتمارس مهنا، كالرقص والغناء[4]: «كانت روجينا في بعض الليالي تتكلم بطريقة لا تخلو من دلع إذ تتعمّد أن تكون قريبة جدا من الأغا، وحين لا تكفي الكلمات للتعبير عما تريد كانت تميل عليه، تنكزه بكتفها كوسيلة إضافية في الإقناع»[5].

---

[1] : عبد الرحمن منيف، أرض السواد، ج1، ص 196.

[2] : ينظر: عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية جدل الذات والآخر.، ص: 18.

[3] : عبد الرحمن منيف، أرض السواد، ج3، ص 57.

[4] : ينظر: عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية جدل الذات والآخر، ص: 25.

[5] : عبد الرحمن منيف، أرض السواد، ج2، ص 204.

ج- رواية باب الشمس لإلياس خوري:

يشير الدكتور عادل الأسطة في دراسته حول صورة اليهود إلى أهم ملامح الشخصية اليهودية في الرواية من خلال ما فعله اليهود بأهل فلسطين سنة 1948 وما بعدها، وهنا يظهر اليهودي قاسيا فظا بلا رحمة، فهو يقتل الفلسطنيين أفرادا وجماعات، يقول إلياس خوري في إحدى صفحات نصّه[1]:« تقدم ضابط شاب من يوسف وصفعه على وجهه، ثم سحب مسدسه وأطلق النار على رأسه، فانفجر دماغه وتناثر على الأرض»[2].

وقد وردت هذه الصفة في روايات عربية وفلسطينية كثيرة فما من كاتب عربي كتب عن الصراع العربي الاسرائيلي إلا أبرزها في كتابه[3] .

د- رواية "حنة" لمحمد الباردي:

لقد صور الباردي اليهود في هذه الرواية شعبا منبوذين غير محبوبين[4]: «أصبحت الآن أعرف الشوارع الرحبة وأزقتها باستثناء الحارة، كانت أمي توصيني بالابتعاد عنها وكانت تقول لي، ابتعد عن اليهود وكانت تقول أيضا الحارة نتنة، طعام اليهود نتن، وثيابهم نتنة وأجسادهم نتنة»[5]. في هذا المقطع يبين لنا أن اليهود محتقرين لدرجة أن الأميين يحكمون عليهم.

تكاد صورة اليهودي في مختلف العصور السابقة التي ظهرت لهم في النصوص الأدبية القديمة شعرا ونثرا لا تختلف في مجملها عمّا ورد عنهم في الأدب الحديث والمعاصر من صفات وقيم فيهم جبلت بالفكر والمعتقد العربي تجارب وتجاور جمعت كلا الشعبين منذ القديم وإلى يومنا هذا..

---

[1] : ينظر: عادل فريحات، صورة اليهودي في الرواية العربية، مجلة المعرفة، العدد 617، شباط 2015، ص 69.

[2] : إلياس الخوري، باب الشمس، ص 176.

[3] : عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية جدل الذات والآخر، ص: 94.

[4] : نورة دعاس، صورة اليهود في الرواية العربية، diae.net/42129.

[5] : محمد الباردي، حنة، سيرة ذاتية روائية، دار كنعان للنشر، الكتاب الأول، ط1، 2008، ص 47.

يقول الشاعر محود درويش:

لماذا يجهل بيرس وزمرته تاريخهم اليهودي؟

ألم يصور شعراؤهم بحماس وإثارة وضعهم الممزّق؟

ألم يكتب أدباؤهم أدبا يحرض على أوضاعهم غير الإنسانية؟

أليس هذا اعتقاد أن الصهيونية فوق الجميع؟[1].

[1]: محمود درويش، سيوف من خشب، حديد، الجزء2، 1962، ص 33.

2. صورة اليهودي عند الغرب:

نجد أنّ صورة اليهودي الرّديئة في الرّواية العربية، قد سبقتها صورته البغيضة في الرّواية الاروبية، قبل القرن العشرين ظهرت في الآداب الإنجليزية، والروسية والفرنسية.

ففي المسرحيّة الشهيرة "تاجر البندقية" لشكسبير سنة ١٥٩٥ في الأدب الإنجليزي، قدّمت صورة يهودية منفّرة، تدور أحداثها في مدينة البندقية الإيطالية.

حيث يقترض التاجر المسيحي"أنتونيو" المال من اليهودي "شايلوك"، لكي يساعد صديقه النبيل "سانيو" الذي يسعى للزواج من "بورشيا"، الوريثة الثرّية من بيلمونت، فرض شايلوك شرطا انتقاميا مفاده أنّه إذا لم يسدّد انتونيو المال في الوقت المقرّر فإنّ شايلوك سيقتطع رطلا من جسد انتونيو مقابل ماله، كما جاء على لسانه:"تعال معي الى محرّر العقود، ولنوقّع عقدا غير مشروط، ولنذكر فيه على سبيل المزاح أنّك إن لم تدفع في الموعد المحدّد وفي المكان المحدّد، المبلغ أو المبالغ المحدّدة في شروط العقد، كان الجزاء رطلا لا يزيد ولا ينقص من لحم جسمك البض، أقتطعه وآخذه من أيّ جزء أختاره من جسدك".[1]

ويرجع سبب هذا الانتقام أنّ انتونيو يحتقر اليهودي شايلوك، ودائما ما يهينه علانية، إذ جاء على لسانه مخاطبا انتونيو "سيّدي أنتونيو، مرارا وتكرارا عيّرتني في الرياليتو بسبب ثروتي وما اتقاضاه من الربا.. نعتني بالكفر، وبأني كلب سفّاح، وبصقت على زيّ اليهودي، والآن يبدو وكأنّك في حاجة الى مساعدتي، تأتيني وتقول: أريد مالا".[2]

نفهم من خلال كلام اليهودي أنّه منبوذ من غيره وغير مرغوب فيه في المجتمع الغربي، وهو مدرك لذلك، كما أنّه يعرف سبب هذا الكره والنّفر منه.

---

[1] – ينظر: وليام شكسبير، تاجر البندقية، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، مصر الجديدة 1994، ص: 19.

[2] – المرجع نفسه، ص:18.

ولكن حدث أنّ انتونيو لم يستطع تسديد المبلغ الذي عليه، فحاول شايلوك تطبيق شرطه، إلاّ أنّ حكمة بورشيا ووقوفها بالمحكمة متنكّرة بزيّ رجل، مدافعة عن انتونيو أفشلت محاولة شايلوك، وبذلك خسر الأخير وحكم عليه بأن يتحوّل الى المسيحيّة..

انتهت المسرحية نهاية سعيدة بالنسبة لانتونيو، وسانيو وبورشيا إذ تكلّل حب الأخيرين بالزواج، ونهاية حزينة بالنّسبة لشايلوك، الذي خسر كل شيء: إيمانه الرّوحي وأمواله وابنته التي هربت مع المسيحي لورنزو.[1]

يصوّر وليام شكسبير المرابي شايلوك شخصية يهودية جشعة، فظّة، محبّة للمال وحاقدة وكارهة لآخر، قاسية ومتجرّدة من مشاعر الرّحمة والإنسانية، إذ جاء على لسان خادمه لانسوت: "سيّدي اليهودي، وهو- والعياذ بالله- كالشيطان نفسه"[2] ، يحكم عليه حتى أقرب النّاس إليه..

جاءت الصورة السلبية للشخصية اليهودية بشكل واضح في مسرحيّة "تاجر البندقية"، و لم يكن شكسبير هو الوحيد في تقديم هذه الصورة، إذ قدّم الكاتب الإنجليزي "كريستوفر مارلو" سمات الشخصية اليهودية في مسرحية "يهودي مالطا" سنة: ١٥٨٨ "التي دارت أحداثها حول شخصية اليهودي "براباس" الذي جمع ثروة طائلة من خلال عمله بالرّبا والتجارة، ولكن حاكم المدينة صادر كلّ أملاكه بسبب رفضه التبرع بنصف ثروته لتجهيز الجيش للدّفاع عن المدينة، ولما كان براباس يتوقّع هذا القرار فقد خبأ معظم أمواله ومجوهراته بعيدا عن الأعين، ورغم أنّه نجا بمعظم أملاكه من المصادرة إلاّ أنّه بدأ ينتقم من الجميع".[3]

---

[1] – ينظر: علاء هاشم، "تاجر البندقية لشكسبير"، المسرحية المعضلة، مجلّة الطريق، بيروت، لبنان، العدد:12 al-tarik.com/ ?p=246.

[2] – حسين أحمد أمين، تاجر البندقية لشكسبير، ص: 23.

[3] – ينظر: عصام عبد العزيز عبد الله، الشخصية اليهودية في مسرح كريستوفر مارلو، المؤتمر السنوي الرابع(العربي السابع- الدولي الرابع)، كلية التربية النوعية بالمنصورة، مصر، 2012، ص :03.

يظهر الكاتب مارلو من خلال هذه المسرحية مجموعة من الصفات الدّنيئة التي ميّزت الشخصية اليهودية براباس، إذ جعله يعلن عن بعض أفكاره الشيطانية، ومن بينها:

- أنّ اليهودي لا يقيم وزنا للدّين والمبادئ، كما ورد على لسان مكيافيلي:(...) "إنّ الدّين عندي ليس إلاّ صبيانية"[1].

كما عكست المسرحية مجموعة من الصفات نذكر منها:

- صفة حب المال، براباس: "(...) إنّني لأفضّل أن أكون يهوديا مكروها وأنا ثريّ على أن أكون مثار عطف الناس وأنا مسيحي فقير"[2].
- صفة المكر والدّهاء وتدبير المكائد والوقيعة بين الناس لبلوغ الهدف، براباس: (...) "في وقت الشدّة يجب ألاّ نترك مكيدة إلاّ طرقناها"[3].
- قسوة القلب وانعدام الرحمة، إذ يعترف اليهودي براباس أنّ اليهود قساة القلب ومعدومي الرحمة، فهم لا ينسون الأذى مطلقا، براباس: "إنّ سألت عنّي فأنا أتلصّص في الليالي، فأقضي على المرضى الذين يئنون تحت الجدران وفي بعض الأحيان، أخرج لأدسّ السمّ في أبار الماء.. وفي ابان الحروب بين فرنسا وألمانيا كنت أتوارى وراء التظاهر بمساعدة شارل الخامس، وأقتل الصديق والعدوّ بمكائدي"[4].

ويشير الى سمات التذلل والاهانة في عدّة مشاهد من المسرحية التي يستغلها اليهودي في سبيل تحقيق مصالحه والوصول الى غايته في شخصية براباس الذي صرّح: (...) "فنحن اليهود

[1] – كريستوفر مارلو، يهودي مالطة، ترجمة: الأديب السوري نصر عبد الرحمن، تقديم: زاحر غبريال، القاهرة، د. الكاتب العربي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، وزارة الثقافة، روائع المسرحيات العالمية، نصف شهرية، يوليو 1967، العدد: 49، ص: 38.

[2] – المرجع السابق، ص: 46.

[3] – المرجع السابق، ص: 65.

[4] – المرجع نفسه، ص: 91.

نستطيع أن نتذلل كالكلاب عندما نريد...لقد تعلّمت في (فلورنسا)كيف أقبّل وأهزّ كتفي عندما يدعونني كلبا...ولكنّني إنّما أفعل ذلك أملا في أن أراهم يموتون جوعا في حظيرة"[1].

جسّدت هذه النماذج في الأدب المسرحي الشخصية اليهودية الشريرة المرابية العالقة في الفكر الغربي القديم.

أعطى "تشالز دينكيز" اليهودي نصيبه من التحقير في أدبه، وخاصة في "أوليفر تويست"، حيث صوّره في وجه شرير وقائد عصابة تستغلّ الكبار وتسرق المارّة وتمارس أعمالا إجرامية، كما قدّم اليهودي مثالا للشر في أعمال "تشوسر وازرابوند" و"إليوت".[2]

وكذلك الشأن في الأدب الرّوسي، إذ ترجع أسباب ترسّخ الصورة القبيحة لليهودي في الأدب الروسي الى تاريخ العلاقة العدائية غالبا بين الرّوس واليهود إبان الحرب الوطنية الكبرى التي خاضها الشعب الروسي ضدّ غزوة نابليون بونابرت مطلع القرن التاسع عشر، فقد عمل كثير من اليهود جواسيس في هذه الحرب، وفي غالبية الأحيان لصالح الغزاة الفرنسيين[3].

ومثال ذلك قصة " اليهودي" لايفان تورغينيف تعبر بشكل مباشر عن هذا الاشمئزاز من اليهود، فبطل القصّة يعدم بعد اتهامه بالجاسوسية، و "المسألة اليهودية" لتولستوي الذي قال في اليهود واصفا حالهم في روسيا: "كان يهود روسيا يعيشون في أحيائهم مكدّسين، إذ كان يعدّهم الروسيون أجانب غرباء، وينظرون إليهم نظرة الهنود الى الأجناس المنبوذين.."[4] تتكرّر فكرة اليهود المنبوذين في الأدب الغربي الذي يصف هذه الفئة ومكانتها في المجتمع.

---

[1] – المرجع نفسه، ص:91 /04.

[2] – ينظر: عادل فريجات صورة اليهودي في الرّواية العربية، جريدة المعرفة، العدد: 617، شباط، ص: 66.

[3] – ينظر: سليمان قبيلات، الزغبي وشاهين يتتبعان "صورة اليهودي" في الأدبين الروسي والانجليزي، alghad.com/article865699.

[4] – عبد الله حسين ، المسألة اليهودية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر،2012، ص: 116.

وهذا المعتقد السلبي راجع للموروث الديني المسيحي في وقت مضى، حيث شكّلت الشخصية اليهودية غالبا يهودا الخائن البائع والمسؤول عن معاناة المسيح[1].

وكان لوجود الشخصية اليهودية جانب واسع في الأدب الفرنسي قبل اندلاع الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر، حيث ركز الكتاب الفرنسيون على علاقة اليهود بالمجتمع الذي يعيشون فيه، ونمو وانتشار وتغلغل اليهود في المجتمع الاروبي بشكل عام والمجتمع الفرنسي بشكل خاص في مؤلفات: راسين، وفولتير، وبسكال، وليمان، وغيرهم من الأدباء.. الذين تناولوا علاقة اليهود ببعضهم البعض، وكيف أنّهم يفضلون مصلحتهم على مصالح الآخرين حتى لو كان بالباطل، واتسمت الشخصيات اليهودية في هذه الكتابات بالأنانية وسوء الخلق[2].

لكن صورة اليهودي بدأت بالتغيير في فترات لاحقة في العصر الوسيط، وخاصة في عصر التنوير، أبرزت بعض الأعمال صورة إيجابية لليهودي النبيل والمتسامي، الذي يقف الى جانب الآخر إذا كان ذا حظ سيء، حكيم ومتسامح بل ويغفر للمجتمع الذي يحكم عليه وينبذه، ونشير الى "روبرت جرينه" الذي مدح حكمة المرابي (بيليزيه)، والى "جورج هربوت" الذي مجّده في قصيدته (اليهودي) شعب الله المختار[3].

كما صوّر "بلزاك" الشخصيات اليهودية بصورة إيجابية مثالية، ورسمها بشكل يناقض تماما الصورة التي رسمتها لهم المؤلفات القديمة، من خلال تبريره لفكرة حب اليهودي للمال بشكل كبير، «فهو لا يرى عيبا في اقتناص اليهودي للذهب وشغفه واقتنائه والحرص على جمع أكبر

[1] – ينظر: عاد الأسطة، اليهود في الرّواية العربية "جدل الذات والآخر"، الرقمية، رام الله، فلسطين، ط1، 2012، ص: 08.

[2] – Levine Stanley Fallis. The Jewish Prence inpre-revolutionary french Litratur , ph, d, u. s. a, California ; Stanford University, 1984.

[3] – ينظر: عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية "جدل الذات والآخر"، ص: 10.

كمية منه، لأنّ الذهب يمثل اليهودي، والثروة التي تحدّد مصير البشر، ويمثل النفوذ والقوّة، حتى في عمل إقراض اليهودي المال للآخرين بالربا، ويعتبره نجاحا لليهودي»[1].

كان لأثر الشخصية اليهودية في الآداب الغربية وجهان، انقسمت بين الصورة السلبية والصورة الإيجابية،

وما لاحظناه من خلال دراسة صورة اليهودي عند الشعوب العربية والغربية معا، والتعرّض لبعض النماذج الأدبية، أنّ العالم يرى اليهودي بعين واحدة في العصور السابقة على انّه ذلك المرء المنطوي على نفسه، المعتزل المحب للمال ومجموعة من الصفات الذميمة التي اكتسبها أو جبلت عليه وألصقت به وميّزته عن الشعوب الأخرى.

وتراجعت صورته السلبية في الآداب الغربية الحديثة والمعاصرة، في حين اشتدّ الصراع بين العلاقة العربية اليهودية بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية والقومية للقضية الفلسطينية في البلاد العربية.

[1] - Godzinsky , Frances Schlamowitz , The portrait of the Jew in The balacian Novel ,ph ,d. United States , Lllinois , University of Lllinois Aturbana- Champaign ; 1980.

الفصل الثالث

صورة اليهودي في رواية أرض الإله

أصبحت صورة اليهودي حاضرة بشكل لافت للنّظر في الأدب العربي عامّة، من خلال العلاقات المباشرة بين الطّرفين والتّواصل الثّقافي والاجتماعي على المستويين الإيجابي والسلبي، إذ كان حضور الآخر اليهودي في الفنّ الرّوائي الأكثر حظّا من فنون الأدب الأخرى، لأن الرواية هي[1]:« الفنّ الأرحب استقطابا للأطراف المتصارعة والشّكل الأكثر قدرة على ترجمة أشكال الصّراع وأدواته»[2].

وتجسّد رواية أرض الإله الصّورة الأدبية للشّخصية اليهودية حسب نظرة الكاتب، كيف رسم صورة الآخر اليهودي بواسطة اللّغة الأدبية؟ وما هي أهمّ سمات وصفات الشّخصية اليهودية كما صوّرها أحمد مراد؟ وما هي أهمّ المشاكل والقضايا الّتي يعاني منها المجتمع اليهودي؟

1. الصّورة الجسديّة:

وهي بناء الملامح الخارجيّة للشّخصيات اليهوديّة في رواية أرض الإله، فنجد الشّخصيات الرّئيسية: اليهودي مردخاي رئيس قصر فيلا دلفيوس «من ورائه وقف في خشوع رئيس خاصّة الملكيّة مردخاي»[3]، فلم نشاهد في الرّواية الوصف الجسديّ لشخصية مردخاي ورغم قلّته إلاّ أنّه وصف ذو دلالات رمزيّة كتشبيهه بصورة القطّ « لم يلقّبك موظّفو القصر بالقطّ من فراغ»[4] كدلالة على فطنته وبراعته في إدارة مقاليد القصر، فلا نجد هذا الرّسم التّفصيلي المتكامل للشّخصية في مشهد واحد، بل إنّ الكاتب كان يستعمل أسلوب الإضاءات المتفرّقة في رسم ملامح الشّخصية، خصوصا مع الشّخصيات المركزيّة كإشارة لعمره بطريقة

[1] : ينظر: محمد دوابشة وزهور دوابشة، صورة الآخر في رواية مقدسية أنا، المجمع 8-183-202، 2014، ص:185.

[2] : بورتو ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد انطنيوس، بيروت، ط1966،3، ص7.

[3] : أحمد مراد، أرض الإله، دار الشروق، 2016، ص 13.

[4] : المصدر نفسه، ص 13.

غير مباشرة مثلا «وفي سرعة لا تليق بعمره المتقدّم اعتلى صهوة جواده»[1] وفي موقع آخر«.. إبهام مردخاي الغليظة مدكوكة الظّفر. يسمونها في علم الكفّ إبهاما بجواء، صاحبها شديد التّطرّف، إمّا ملاك من ملائكة الرّاعي، وإمّا شيطان مريد من أعوان ست»[2]، فالكاتب يستخدم مفردات إيحائية لتصوير ظاهرة شخصية الآخر، حيث يتجاوز الوصف الظاهري القالب الفيزقي ويشير إلى ذات الآخر[3].

فالمتلقّي لا يستطيع أن يصوّر الشّكل الخارجي لهذه الشّخصية إلاّ من خلال مشاهد متعدّدة.

أمّا بالنّسبة للشّخصيات الثّانوية: فقد كان الكاتب يمنح المتلقّي رسما متكاملا عن الشّخصية في الموقف ذاته كما حدث في رسم شخصية: الحاخام رأوبين، «مساعد كبير الكهنة في اورشليم، رجلا بدينا في رداء بنيّ لحيته مخضّبة بالحنّاء، وحول عينيه كحل»[4]. عبارة عن صورة فيزيولوجية خاصّة ترمز لرجل الدّين اليهودي في وقت مضى. كما تتكرّر صورة الكهنة في شخصيّة «إليعازر رئيس كهنة أورشليم، رجل تخطّى العقد السّابع، على رأسه شال مخطّط وفي يده عصا عاجيّة المقبض»[5].

وتواصل تمثيله للصّورة الجسديّة في شخصية آرام، وهو «شابّ غزير الشّعر قويّ البنية، مكتحل العينين، يقبض بيده على عنق كلب مولوسي ضخم.. مستعرضا قوّة ذراعه»[6]...

فمن النّاحية الفزيولوجية يستعرض على أنّه كتلة لحمية ضخمة تثير الرّهبة في نفوس المحيطين بها، وتتمتّع بحضور قويّ لزمته صفة الكلب في عدّة مواضع من الرّواية كما جاء على

[1] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 145.
[2] : المصدر نفسه، ص 180.
[3] : مسعود شكري، صورة الآخر الاسرائيلي في رواية" المتشائل لإميل حبيبي، فصلية إضاءات نقدية، السنة 7، العدد 26، صيف 1396ش -2017 ص 45.
[4] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 18.
[5] : المصدر نفسه، ص 47.
[6] : المصدر نفسه، ص 71.

لسان السّاقي «احترس من الكلب»[1].

كما قدّم الكاتب صورة العجوز راغوث والدة مردخاي وطبيبة الحيّ في مجموعة دلالات مظهرها للمتلقّي: «فرأى عودها المنحي وشعرها الأبيض والتّجاعيد الّتي تفترش جلدها.. وبين أصابعها المرتعشة مبضع مسنون .. وتغسل يديها اليابستين.. قبل أن تلتقط عصاها الخشبية وتخرج بخطوات لا صوت لها من خفّة العظام فيها»[2]. وصف دقيق يعكس صورة العجوز المتقدّمة في السّن، النّحيلة الجسم بقوله: «يتأمّل الظّلّ الضّئيل»[3].. وفي الموضع ذاته: «باسطا راحته في حنو تحت ذقنها المشعّر»[4].

ونبقى مع أقرباء اليهوديّ موردخاي، ابن شقيقته شاءول «جزّار نوق بحيّ دالتا ومصارع بحلبة الباليسترا»[5] صاحب الجسد المفتول.. كجدار لحم.. خطوات ثقيلة غاضبة... كلّها صفات توحي بقوّة الشّاب كما جاء على لسان كاي «القاتل قويّ البنية محترف»[6].

تقدّم الرواية نماذج مختلفة من الشّخصيات اليهودية منذ مرحلة الشّباب مع الشّخصية آرام وشاءول إلى فترة الكهولة للشّخصية مردخاي، مرورا بمرحلة الشّيخوخة مع شخصية أمّ مردخاي العجوز راغوث.

[1] : أحمد مراد، أرض الإله ، ص 70.
[2] : المصدر نفسه ، ص 79.
[3] : المصدر نفسه، ص 79.
[4] : المصدر نفسه، ص 80.
[5] : المصدر نفسه، ص 140.
[6] : المصدر نفسه، ص 23.

2.الصّورة النّفسيّة:

عرضت الرّواية شخصيات يهودية كثيرة تعدّدت فيها الطّباع والصّفات والمواقف حسب أدوارها وسيرورة الحدث في النّص، «فالشّخصية تسخر لإنجاز الحدث الذي وكّل الكاتب إليها إنجازه، وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب وتقنيات إجراءاته وتصوّراته وايديولوجيته، أي فلسفته في الحياة»[1].

وهذه الصّورة ليست هي الواقع، «فهي شديدة التّقرب منه ولكنّها ليست مختلفة عنه تمام الاختلاف»[2]، إذ يزوّد النّص القارئ بمجموعة من الصّفات المرتبطة بالحالة النّفسية.

فيختار الرّاوي شخصية اليهودي مردخاي ليعرض جانبا من سيرة حياته وأفكاره وبعده الدّاخلي، فيقول: «رجل ذكيّ عرف منذ زمن متى يتكلّم ومتى يلتزم الصّمت.. ملك من الحنكة ما حافظ به على منصبه.. لقّب بالقطّ نظرا ليقظته وبراعته في إدارة مقاليد القصر»[3]، مقتص أثر ماهر كما جاء على لسان الملك: «لن أجد أفضل منك في تقصّي الحادث»[4]، فطن ومدرك لمهامه رجل واسع الإطّلاع شديد العزم والإصرار في بلوغ أهدافه متحدّثا في قرارة نفسه: «كم يعجبني إصراره، يدهشني يذكرني بنفسي حين كنت أجمع قصاصات التّوراة من الصّدور والبيوت، لنحفظها في بيتنا»[5].

شخصية هادئة تجيد التّعامل مع الطّبقات الحاكمة وتبرز مكانتها من بينهم وتكسب ثقتهم، فنجد الملك لا يخوض في أمر قبل استشارته والأخذ برأيه إذ يقول الملك لمردخاي:

---

[1] : عبد المالك مرتاض، في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 86.

[2] : عبد المجيد حنون صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 12.

[3] : أحمد مراد، رواية أرض الإله، ص 13.

[4] : المصدر نفسه، ص 19.

[5] : المصدر نفسه، ص 308.

«انتظر أريد مشورتك في مسألة طارئة»[1].. « أنت شيطاني المفضّل»[2]ذكاءه ومكره أكثر ما يميّزه ورغم منصبه يظهر الرّاوي جانبا من الاحترام والحبّ في رعاية والدته وخدمتها: « انتقى جزءا طريّا ليضعه في فم أمّه العجوز باسطا راحته في حنو تحت ذقنها المشعّر.. مدّ يده إليها مساعدة»[3].

ورغم الألفة والرعاية، الّتي يكنّها لعائلته إلا أنّه لا يغفر الخطأ والتّهاون حتّى من أقرب النّاس إليه كابن شقيقته شاءول حين أخفق في تأدية مهمّة أوكلت إليه: «كمّم فم شاءول بيساره ورشق الشّوكة في يمينه.. ثمّ أدار الشّوكة بين العظام»[4]، عقابا له على تقصيره وناهيا إيّاه: «واحضر فصدري لا يتّسع لخطأ ثان، حتّى وإن كنت ابن شقيقتي»[5].

ويعتبر موردخاي صورة عن اليهودي الغريب الأطوار، من صدور تصرّفات غريبة وغير متوقّعة مثلما نلمسه في هذا المشهد: «لحسن حظّك أنّني أستطيع تمييز الصّادق بين ستين كاذبا.. قالها وأغمد النصل في بطن كاي»[6] الذي يكشف حجم العنف والوحشية والغدر بالآخر رغم صدقه وبراءته «نظر كاي في عيني مردخاي، قرأ الغدر»[7].

فالرّاوي يصوّر الآخر اليهودي بأنّه عنيف متجرّد من القيم والمشاعر الإنسانية في مجموعة أحداث متفرّقة في الرّواية تبرز دناءته وانحطاطه: «يوقع العقاب المبالغ فيه على المخطئ فيرهب من انتوت نفسه التّراخي والإهمال»[8].

---

[1] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 36.
[2] : المصدر نفسه ، ص 176.
[3] : المصدر نفسه ، ص80.
[4] : المصدر نفسه، ص 84.
[5] : المصدر نفسه، ص 100.
[6] : المصدر نفسه، ص 34.
[7] : المصدر نفسه، ص 65.
[8] : المصدر نفسه، ص 12.

يغمره الحقد النّقمة: «اتّجه مردخاي إلى الحارس الواقف خلف أمّ كاي، التقط الهراوة.. فهوى بها على رأسها، سجدت قهرا، هوى ثانية فشخّ رأسها، فهوى الثّالثة، كسر الرّأس فجّرت الدماء على الأرض..»[1].

تكرّرت مشاهد الموت والهلاك بين يديه بلا رحمة ولا شفقة ولا حتّى لسبب يذكر لقتل ضحاياه بدم بارد فحتّى الكاهن لم يسلم من قبضته رغم ضعفه وسنّه المتقدّم[2].

يستغلّ نفوذه ومنصبه للوصول إلى مبتغاه وسبله: « لقد أقنعت الملك برسمك كاهنا أكبر»[3] وكلّ ما يخدم مصالحه.

فصفة اليهودي الخبير بنفسياته هي مجموعة من النّقائص بدءا بالاحترام وإظهار الطّاعة والخضوع المصطنع لتظليل الآخر بالكذب والتّحايل والخيانة[4]. فالفرد اليهودي يعبّر عن المجتمع اليهودي عامّة.

ولا تقلّ شخصية طبيبة الحيّ العجوز "راغوث" والدة مردخاي شرّا أو سلبية عن ابنها، إذ يصوّرها أحمد مراد على أنّها شخصية حكيمة ونشيطة رغم تقدّمها في السّن، «بيتها مفتوح لأبناء الجالية في كلّ وقت.. تجبّر الكسور وتشقّ الخراريج وتضع المراهم على التّقيّحات، تحكي أحداثا تجاوزت الألف عام كأنّها عاشتها بالأمس، وتملك عقل رجل ناضج ودهاء مراب عتيد»[5]، تسيئ إلى من حولها وترميهم بصفات الحيوانات حتّى لو كانوا من بني جنسها، حين تحدّثت عن مريضها اليهودي يورام: «دماؤه مملوءة بالدّهون كالخنزير»[6].

---

[1] : أحمد مراد، أرض الإله ، ص 184.

[2] : ينظر: المصدر نفسه، ص 304.

[3] : المصدر نفسه ، ص 512.

[4] : ينظر: صلاح الدين عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، تاريخ وسمات ومصير، دار القلم، دمشق، 1987، ص 11-12.

[5] : أحمد مراد أرض الإله، ص 79.

[6] : المصدر نفسه، ص 80.

« فهي الّتي حدّدت يوم دفن الكاهن في النّجوم ليكون يوم نحس وكرب.. وبصقت على وجهه.. ووضعت الخنافيس الحيّة في الإناء المرمريّ الّذي يحوي الكبد قبل أن تلتفت لابنها متهدّجة الأنفاس شافية غليلها»[1]، ولو سنحت الفرصة لتفعل أكثر من ذلك ما تراجعت حسب ما ورد على لسانها: « لو ما أوصيتني بكتمان أمري لمزّقت جسده وأكلته»[2].

فهاجس الانتقام والحقد الدّفين والمعلن يغمرانها «إنّي أنتقم لحيّ دلتا بأكمله، أنتقم لأجدادك وأجداد أجدادك»[3]. حتّى ابنها يستغرب مدى كرهها وحقدها في حديثه معها: «أمّاه كفى قد نلت انتقامك الّذي طلبت... ألا تهدئين يا أمّي؟»[4].

فالعجوز ترمز للنّسب والأصل والتّراث اليهودي تظهر العنصرية والنّقمة الّتي يحملها هذا الآخر منذ القديم، ويحاول ترسيخها في الأجيال القادمة، من تفوّق ونجاح وإثبات وولاء للجنس اليهودي[5].

إضافة إلى الشّخصية اليهودية يقدّم الرّاوي شخصية آرام تاجر الكلاب المولوسية، أو كما يلقّبونه بالكلاّب: «لا أنصحك الاقتراب من الكلاّب، فصدره ضيّق حرج ككلابه الهجينة»[6].

شابّ يهودي هجر دينه من أجل فتاة أحبّها: «قلت له إنّني يهودي وإنّني سأترك ديني من أجل ابنتك»[7] كما جاء على لسانه إذ يظهر في الرواية رجل قويّ البنية يهابه كلّ من حوله ولكنّه ضعيف الشّخصية!

---

[1] : أحمد مراد، أرض الإله ، ص 352.

[2] : المصدر نفسه، ص 352.

[3] : المصدر نفسه ، ص 353.

[4] : المصدر نفسه، ص 353.

[5] : ينظر: عالية زروقي، صورة الآخر في الرّواية الجزائرية من سنة 1950 إلى 2010، أطروحة دكتوراه، أدب مقارن، إشراغ: عبد القادر توازن، الشلف، 2017، ص 330.

[6] : أحمد مراد أرض الإله، ص 117.

[7] : المصدر نفسه، ص 347.

يعتبر علماء النّفس الشّخصية اليهودية مريضة نفسيّا، وهي تحمل في ذاتها بعض هذه الأمراض ومنها: الاضطرابات الطّفيلية، البارونا جنون العظمة، الاضطرابات السّلوكيّة في الشّخصية العدوانية، الانطوائية والتّمركز حول الذّات، التّشاؤم والغدر التّوجّسي بالآخرين والحرص على التّعلّق بالحياة[1].

إذ يكشف الكاتب الجانب السّلبي والنّفسية المريضة من خلال رسم شخصيّاته اليهودية وإيذاعها الصّفات والطّباع الذّميمة بشكل واضح ومباشر للمتلقّي. «وهذا يعني أنّ الملامح الخارجية للشّخصية ليست ملامح مجرّدة قائمة بذاتها، وإنّما هي مرآة تكشف أغوارها النّفسية والفكريّة فهيئة ومظهر الشّخصية ما هي إلاّ مرآة لجوهر فلسفتها الإنسانية»[2]، بما يعني أنّ المظاهر الخارجيّة للشّخصية هي تعريف جزئي للذّات الإنسانية.

[1] : ينظر: خضر عباس، خصائص الشخصية اليهودية لدى علماء النفس. https://dralloss.wordpress.com/2013/01/24

[2] : أ.د/ أحمد العزي صغير، بناء الشخصية السّردية وأساليب عرضها، قراءة في نصوص روائية معاصرة، 2012. https://ar-ar.facebook.com/alamedbag/posts/446574762021192.

3. الصّورة الاجتماعيّة:

الأدب تعبير عن المجتمع وتمثيل للواقع أو الطّبيعة بما فيها الإنسان، والأديب ابن مجتمعه «يتأثّر بالحياة الاجتماعية من مؤثّرات سياسية واقتصادية وفكريّة، وينعكس على صفحة إبداعه ما يسود مجتمعه من عادات وتقاليد وعقائد ونظم ومبادئ وأفكار، وهو يعبّر عن هموم مجتمعه وآماله مثلما يعبّر عن تجاربه وأحاسيسه»[1].

فالأديب في هذا العمل الرّوائي ينقل لنا البعد السّوسيولوجي للمجتمع اليهوديّ في رواية أرض الإله من منطلق تاريخيّ وثقافيّ.

يقدّم صورة للحيّ اليهوديّ حي دلتا الّذي خصّصه الملك لهم في الاسكندرية يبيّن حالهم بقوله: «منذ سنوات ورجال حيّ دالتا لا ينامون، يعيشون بين الجبتيّين في الحانات والشّوارع كأنّهم منهم، يزكّون فيهم المساواة والعدالة ويعظمون أحلامهم في الاستقلال..»[2].

و يصف بيت اليهودي مردخاي: «رائحة لحم العترة ملأت هواء الباحة الخلفيّة للبيت الكبير، محمّلة بنكهات الفلفل والثّوم وقطع البندورة المقشّرة.. هشّ الأفراخ والماعز بعصا ثمّ اقترب..»[3] .

كما أشار إلى بعض من تقاليد اليهود وأعرافهم كالزّواج المختلط بالأجناس والشعوب الأخرى حسب ما ورد عن الشّخصية" راغوث": «نهانا يهوه عن لحم الأجناس، ذلك مذكور في الكتب الّتي سترتها الأتربة، لا أخشى على الأحفاد بعد موتي إلاّ مغبّة التّيه الجديد»[4].. وجاء

---

[1] : ينظر: كامل محمد محمد عويضة، علم نفس الشخصية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط1، 1992، ص 68.

[2] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 98.

[3] : المصدر نفسه، ص 77.

[4] : المصدر نفسه، ص 80.

في موقع آخر عدم قدرة الشّخصية آرام على الزّواج من نادية: «تقاليد صارمة: فاليهود لا يتزوّجون الجيبتيّات»[1] حسب طقوسهم وشعائرهم.

« وزعمهم أنّهم شعب الله المختار وأحبّاؤه.. ينعم عليهم ويمكّن لهم في الأرض، ويقهر أعداءهم وينصرهم عليهم»[2].. حسب ما ورد في عدّة مشاهد «فكرة استولوا فيها على بركات السّماء دون غيرهم، فكرة تقول أنّهم " شعب الله المختار" وإنّ من دونهم أغيار، لا روح فيهم، ولا حياة يستحقّونها إلاّ عبيدا في أراضيهم وتابعين..»[3]، إذ يظهر اليهوديّ هنا ذا طابع عنصريّ وشخصية عنصريّة، قوم يحبّون الاستعلاء على الآخرين وأنّ كلّ من هو غير يهوديّ(الأغيار) خلقوا لخدمتهم «واستعبدوا كلّ من عداهم من البشر»[4].

يتكرّر مشهد اعتقادهم بأنّهم الجنس السّامي الوحيد ونلمس استهزاء الرّاوي من هذا المعتقد: " يظنّنون أنفسهم شعب الرّبّ المختار".

قال الله تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}(المائدة، الآية: 18).

ومن الصّفات الذّميمة الّتي لازمتهم في الرّواية الطّمع وأكل أموال النّاس بغير حقّ من ربا وتحايل وخداع بشتّى أنواعه، «هؤلاء هم بنو اسرائيل الّذين تربّينا بينهم.. خراف جشعة لا عقل لها ما كانوا ليخرجوا من الخرائب دون عصا يقتاتون الرّبا ويمتصّون رهونات الفقراء كالخفافيش»[5].

---

[1] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 92.

[2] : ينظر صلاح عبد الفتاح خالدي، الشّخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ- وسمات ومصير، ص 142.

[3] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 86.

[4] : المصدر نفسه، ص 303.

[5] : المصدر نفسه، ص 89.

خبرتهم كبيرة بمقاليد التّجارة جعلت لهم نفوذا وحظوة في المجتمع، فتقلّدوا المناصب وامتلكوا أسواق الحليّ والذّهب.. حتّى أقرضوا القبائل بالرّبا.. وجاء في موضع آخر: « لا يكفيهم الاستئثار بالذّهب، وممارسة الرّبا»[1].

وسيلة يستغلّها اليهود للتّحكّم في مصير الأمم والشّعوب إذ ورد على لسان مردخاي مخاطبا الحاخام إليعازر: «بعدها ستحكم تالنتات الذّهب المكدّسة في حيّ دلتا، وسيحكم الملك من سفينة سنكون نحن بحّرتها الوحيدين، ستخضع إيجيبت وتركع سورية، وتسجد بابل»[2].

فالشّخصيات المتعايشة مع اليهود في الرّواية تدرك جشعهم ومكرهم المعلن كشخصية الشّاب كاي الّذي يعرف أنّهم الثّعابين تحت عرش الملك، ديدان الرّبا التي تمتصّ الذّهب والفضّة..»[3].

قال الله تعالى في تعاملهم بالرّبا: { وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}(النساء، الآية: 161).

تناولت الرواية الجانب التّاريخيّ لبني اسرائيل بشكل كبير ومفصّل منذ دخولهم مصر مع النّبي يوسف صاحب الخزائن حسب ما ورد في نصوص البرديات حتّى زمن فرعون الّذي استعبد اليهود وأذلّهم واستحيى نسائهم: «يسخّر النّساء في الفرش، ويبقي على الأقوياء من الرّجال من أجل الخدمة الدّنيا»[4]. وقتل أبنائهم بسبب رؤيا أتته في المنام تقضي أنّ نهايته ستكون على يد مولود من بني اسرائيل: «ثمّ قرّر قتل كلّ رضيع ولد في ليلة الحلم المشؤومة بالمدينة»[5].

[1] : أحمد مراد، أرض الإله ، ص 245.
[2] : المصدر نفسه، ص 99.
[3] : المصدر نفسه ، ص 88.
[4] : المصدر نفسه، ص 209.
[5] : المصدر نفسه، ص 109.

نلاحظ تشابه الأحداث إلى حدّ كبير من قصّة النّبي موسى عليه السّلام وقومه ومواجهته لفرعون المذكورة في القرآن الكريم وفي السّنّة النّبوية الشّريفة، وأحيانا تتطابق حتّى في الألفاظ. قال الله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَائَهُمْ وَيَسْتَحِي نِسَائَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين}(القصص، الآية:4).

حتّى إذا بعث فيهم الله نبيّه موسى عليه السّلام ليرفع عنهم الذّل والهوان ويخرج بهم من مصر إلى الأرض المقدّسة في سرد مطوّل ومنفصل في عدّة أجزاء متماشية مع أحداث الرّواية نلمس فيها نبذة عن صفاتهم وسماتهم، وخفايا مكنونات نفوسهم الّتي عرضتها علينا الرّواية منها:

- صفات الذّلّ والجبن والمهانة:

أشار إليها الكاتب في عدّة مشاهد من قصّة النّبي موسى وجهوده في محاولة إقناع قومه بالخروج من مصر والنّجاة من عذاب فرعون وطغيانه، إذ قال لهم موسى- حسب الرّواية- : «لكنّكم تقبلون الذّل على الخروج لأرض الرّبّ الواسعة.. وعليكم أن تواجهوا انتقامه إن رضيتم بالذّلّ والهوان...»[1] بسبب جبنهم واستسلامهم لفرعون وجنده عند حدوث حادثة عبور البحر، إذ جاء على لسان كبير العشيرة: «هذا ما حذّرتكم منه، لن يهدأ بال رأس العجل حتّى يصارحكم فيذبحكم ويلقي بأجسادكم إلى البحر.. لنسلّم أنفسنا إليه ونبدي النّدم لعلّنا نرجع إلى منازلنا..»[2] فيوضّح حوار الشّخصيات مع بعضها مدى ضعف الشّخصية اليهوديّة ضدّ العدوّ والرّضى بالذّلّ والهوان بشكل مباشر: «أفتهم أنفسهم، وأورثتهملؤما وخسّة ودناءة»[3].

[1] : أحمد مراد، أرض الإله، ص، 323.
[2] : المصدر نفسه، ص 325.
[3] : المصدر نفسه، ص 328.

وتعود هذه الأحداث لوقائع تاريخية حقيقية من قصّة النّبي موسى في القرآن: حين اقترب فرعون وجنوده من الاسرائليين، فزع الاسرائيليون فزعا شديدا، وبلغت قلوبهم الحناجر، وظنّوا بالله الظّنون واتّهموا موسى أنّه أخرجهم إلى هذا المكان حتّى تتمّ إبادتهم من قبل فرعون[1] وجنوده وهنا ظهر ضعف الإيمان في قلوبهم رغم معجزات الله لهم، فهم يفضّلون البقاء تحت الذّل والمهانة على أن يموتوا عزيزي الأنفس مرفوعي الرّؤوس دفاعا عن دينهم وحرّيتهم، قال الله تعالى:{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا، إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ}(آل عمران، الآية: 112).

عبّرت الآيات عن لصوق الذّلة والمسكنة بهم بكلمة«" ضربت" وهذه الكلمة توحي بالحالة الدّئمة التي لا تفارقهم، والضّرب هنا يعني الختم. ومعنى أينما ثقفوا: أينما وجدوا وحيثما حلّوا، في أيّ زمان كانوا وفي أي مكان أقاموا وهذه الذّلة مقرّرة عليهم سلفا»[2].

واتّصافهم بالجبن والخشية من خلال هذا المشهد من الرّواية: «بل يتقدّم الأخوان فيقبلان فرعون ليصدّوا عنّا الأذي...»[3] الّي يذكّرنا بالآية الكريمة {قَالُو يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون}(المائدة، الآية24).

وفي موضع آخر: «ولعوار أصيل في بني اسرائيل، فهم قوم جبناء لا يخلصون لإله واحد لا كرامة لهم ولا ملّة»[4].

نلاحظ أنّ الكاتب اعتمد على وقائع تاريخية حقيقيّة بنى عليها نصّه الرّوائي.

- قتلة الأنبياء:

[1] : ينظر: نضال عباس جبر دويكات، قصّة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة "دراسة مقارنة"،إشراف: أ. محمد حافظ الشريدة، أطروحة الماجستير، جامعة كلية الدراسات العليا نابلس فلسطين، 2006، ص 164.

[2] : ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشّخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، 1998، ص 308.

[3] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 323.

[4] : المصدر نفسه، ص 210.

أنّ قتل الأنبياء والرّسل أعظم جريمة نكراء يرتكبها المرء والتي تجعله يعذّب يوم القيامة عذابا شديدا ويحلّ به غضب الله عزّ وجلّ وهذه الجريمة تميّز بها بني اسرائيل مع أنبيائهم عبر التاريخ..[1].

فالرّواية كانت قريبة من التّاريخ برزت أبرزت هذا السلوك في عدّة مواضع نذكر منها:«الصّديق المبارك، صاحب خزائن القمح الذي قتله بنوا اسرائيل غيلة وطمعا»[2].. ويقصد النّبي يوسف.

وفي موضع آخر: «تلك كانت نهاية نبيّ الرّعاة، قتله قومه مثلما قتلوا أخاه، وكذلك سيقتلون كلّ من يعترض طريقهم، حتّى لو كان ملكا فوق عرشه»[3].

وأنكر القرآن على اليهود هذا الموقف الباطل والفعل الشّنيع بقوله: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولُ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ، فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُون}(البقرة، الآية: 87).

- التّحريف والتّزوير:

تنطلق بنية الرواية الأساسية عن محاولة إخفاء البرديات التي تكشف عن حقيقة عبث اليهود في التاريخ المصري القديم وتحريف التوراة لصالحهم وحسب احتياجاتهم: «إنّ التوراة لم يكتبها نبيّهم موسى، وإنّما كتبها عزرا حاخام عاش بعد موسى بثمانمائة عام.. يروّج الافتراءات لابتداع تاريخ مزيّف عريق لقومه الهائمين بحثا عن وطن»[4].

إذ نلاحظ التّصرّف اليهودي الخبيث الذي رسمه الكاتب لشخصياته اليهودية في عدّة مشاهد من الرواية كما جاء على لسان مردخاي: «تلك توراتنا الجديدة، مترجمة إلى اليونانية،

---

[1] : ينظر: عبد الله بن علي صغير، بنو اسرائيل في القرآن الكريم، 2008. www.muslim.litarary.com/dl/books/ar1791.pdf

[2] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 133.

[3] : المصدر نفسه، ص 385.

[4] : المصدر نفسه، ص 88.

احرص على نسخها ونشرها بين الأمم، ولا تلتفت لما فيها من إصلاحات، فلكلّ عصر قواعده»[1]

ويظهر الكاتب في موقع آخر من الرواية على أن التاريخ المصري لم يسلم من المؤامرة الدّنيئة التي رسمها اليهود من طمس وتشويه: «قوائم الجيبتيكا يمكن التعامل معها، فهي أسماء وتواريخ لأسرات حاكمة يسهل الطّعن فيها»[2].

نحن نعلم يقينا أنّ التوراة- وغيرها من كتب الله إليهم- قد اعتدى عليها اليهود بالتّحريف والتحوير والتّبديل، فتحوّلت من كتاب سماوي إلى صناعة بشرية باطلة مفصّلة على مقاسهم وبما يوافق مزاجهم ومصالحهم[3].

وتشهد آيات القرآن الكريم على هذه الجريمة الشّنيعة التي اقترفها اليهود في حقّ الله وكتبه التي حرّفوها وغيّروها وأضافوا لها الكثير من كلامهم ومزاعهم ونسبوها لكلام الله، قال الله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً، فَوَيْلٌ لَهُمْ، مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُون}(البقرة، الآية: 79) .

ندرك من خلال هذه التّصرفات من تحريف وتزوير وقتل للأنبياء مدى انحراف شخصياتهم وفساد عقيدتهم وقسوة قلوبهم إذ تحفل أحداث الرواية بمواطن الغدر والخيانة والفساد في المجتمع اليهودي: «فأعين قومك لا تحمل الخير»[4]، كأنّ الغدر باذيا على وجوههم يكشف عن حقيقة نواياهم للآخر: «إنّما أخشى الشّيوخ، قلوبهم مغلفة بالحقد، يتربّصون بنا ويهمسون بالمكر ليسترجعوا مكانتهم»[5].

---

[1] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 99.

[2] : المصدر نفسه، ص 81.

[3] : ينظر: د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، ص 6.

[4] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 339.

[5] : المصدر نفسه، ص 363.

اتّصافهم بالطّمع والجشع وحبّ المال والذهب عبر ثنايا النص: «هؤلاء هو بنوا اسرائيل الذين تربينا بينهم، خراف جشعة لا عقل لها.. لعمري أراهم يقتاتون الرباويمتصون رهونات الفقراء كالخفافيش»[1].

فالكاتب يبرز هذه السمة بشكل مباشر على لسان شخصياته في النّص: «بنو اسرائيل لا يعبدون إلا الذهب»[2] ورغبة في المزيد من القوة والنفوذ.

- الكفر وفساد العقيدة:

جاءت صورة اليهودي الكافر ذي الأخلاق الذميمة والأوصاف القبيحة جلية في الرواية نذكر منها مقتطفات من قصة موسى وقومه مع حادثة العجل في الرواية: «ما لبث أن تأخر عليهم نبيهم موسى بضعة أيام في الجبل: ثلاثون يوما لا ندري عنه خيرا ولا يجرؤ أحد على الصعود خلفه، ما يدرينا إن كان قد مات أو صعد إلى بيت الراعي.. جمعوا الحلي الذهبية والزينة في حفرة كبيرة صهروها تحت نار عظيمة.. حتى لانت المعادن وسالت فصبه السامري في قالب محكم نحته من القدور على شكل عجل»[3]فعبدوه وخروا إليه ساجدين ناكرين كل المعجزات التي شاهدوها على يدي نبيهم ومشركين برسالة الله لهم وجاحدين بنعمته عليهم: «يا كبير القبيلة! أتنكر الراعي بعد أن جاءكم موسى بالآيات؟ تعبد عجلا لا حول له ولا قوة؟»[4].

الحادثة سبق ذكرها في القرآن الكريم مع بعض الاختلافات إذ واعد الله سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام أربعين ليلة، وظهر فيهم رجل يدعى بالسامري فتنهم وجمع زينتهم وحليهم وأخرج منها عجلا جسدا له خوار، وقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى، فجعلوا يطوفون به

[1] : أحمد مراد، أرض الإله، ص 370.
[2] : المصدر نفسه، ص 279.
[3] : المصدر نفسه، ص 369.
[4] : المصدر نفسه، ص 370.

ويعبدونه ويتّخذونه إلها من دون الله[1]، قال الله تعالى: { وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً، اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِين}(الأعراف، الآية: 148.).

جعل الكاتب من خلال هذه الصفات الذميمة صورة تكشف سبب نبذ الشعوب لليهود والنفور منهم كرد فعل لتصرّفات اليهود مع غير اليهودي. وجاءت هذه النظرة السلبية في بعض المقاطع من الرواية مدّ فيها الكاتب فكرته عن هذا الآخر بلسان الشخصيات في عمله الأدبي كقوله: «خرائب بني اسرائيل... المنبوذين... المخابيل...»[2].

إذ يمكن القول أن سبب تسمية اليهود بهذه الصفات السيئة يحمل دلالات تحقير واستهزاء الكاتب منهم إضافة إلى رفض بعدهم الاجتماعي وعدم الاعتراف بهويتهم.

[1] : ينظر: د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية في القرآن الكريم، ص 82.
[2] : ينظر أحمد مراد، أرض الإله، ص 150-158.

خاتمة

❖ **خاتمة:**

بعد دراسة صورة اليهودي في رواية "أرض الإله" لأحمد مراد، يمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها فيما يلي:

- استحوذ اليهود على اهتمام الأدباء منذ العصور السابقة التي لم يكن فيها موقف العرب مع اليهود معاديا، حتى قضية فلسطين.
- تعدّ رواية "أرض الإله" رواية جريئة في فكرتها وطرحها للقضايا الاجتماعية والتاريخية للمجتمع اليهودي.
- أبرز الكاتب الصورة السلبية والصفات الذميمة بوضوح لليهود، كما أكّد على الجوانب الفكرية والثقافية لتصوير الآخر، إضافة الى وصف الجوانب الجسدية والظاهرية، فقد حاول أن يقدّم صورة اليهودي بناءا على أفعاله وأقواله.
- كشفت الدّراسة عن أنّ تعصب اليهود لجنسهم وغدرهم وأنانيتهم وجشعهم ليست بصفات مستحدثة، ولكنّها صفات قديمة ولاصقة باليهود منذ نشأتهم وحتى الآن.
- عانت جميع الأمم التي عاش فيها اليهود من أفعال وتصرّفات اليهود، ممّا جعل هذه الأمم تمقتهم وتنبذهم وتنفر منهم.
- يؤمن اليهودي إيمانا مطلقا بنظرية الجنس السامي وأنّه شعب الله المختار وأحباؤه.
- تقاطع الصفات الذميمة والأخلاق الدنيئة لليهود: من تحريف وقتل وأكل أموال الغير، والرّضا بالذل والاهانة في رواية " أرض الإله" مع القرآن الكريم، يُظهر اعتماد الأدباء العرب على الموروث الديني بشكل كبير.

وختاما:

لا أزعم أنّني وفيت هذا الموضوع حقّه ولكن حسبي أنّني قد بذلت جهدي، فإن أحسنت فمن الله وإن أسأت فمن نفسي، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

➢ القرآن الكريم

➢المصادر والمراجع

1. - كريستوفر مارلو، يهودي مالطة، ترجمة: الأديب السوري نصر عبد الرحمن، تقديم: زاخر غبريال، القاهرة، د. الكاتب العربي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، وزارة الثقافة، روائع المسرحيات العالمية، نصف شهرية، يوليو 1967، العدد: 49.
2. ابن عوف عبيد بن الأبرص، (ت25ف.ه)، ديوان عبيد بن الأبرص، شرح وتقديم عمر فاروق الطباع، د.ط، دار القلم ، بيروت، 1994.
3. ابن هشام جمال الدين أبو محمد (ت218)، سيرة ابن هشام، تحقيق: إبراهيم الأبياري، د.ط، بيروت، ج3.
4. أبو الطيّب المتنبي، أحمد بن الحسين، (ت345ه): ديوان المتنبي، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت، 1969.
5. أبو العلائ المعري، حياته وشعره، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986.
6. أحمد بن أحمد المقري(ت1041ه) نفح الطيب من غسن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد البقاعي، دار الفكر ، بيروت، ج8، ط1، 1986.
7. أحمد مراد، أرض الإله، دار الشروق، 2016.
8. الأعشى: أبو بصير ميمون بن قيس ت07هـ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، مجلة مجمع اللغة العلاربية الفلسطيني، ع 24، 2000.
9. امرئ القيس اين حيجر الكندي(ت80ق.ه)، ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت، 1958.
10. الأنصاري حسان بن ثابت(ت54ه)، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح: عزت نصر الله، دار إحياء التراث العربي، بيروت،د.ت.

11. بشرى البستاني، قراءات في الشعر العربي الحديث دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

12. بورتو ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ت: فريد أنطونيوس، بيروت، ط3، 1966.

13. الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج3، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1964.

14. حسان بن ثابت الأنصاري(ت 54هـ)، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح: محمد عزت نصر الله، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت.

15. حميد الحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط1، 1991.

16. خالد يونس خالدي، اليهودي في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، مطبعة ومكتبة دار الأرقام غزة فلسطين 2011.

17. عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية، جدل الذات واللآخر، دار الرقمية، رام الله، فلسطين، 2012.

18. العبادي عدي بن زيد بن بن جماد بن زيد، ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيبد، د.ط، بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.

19. عبد الرحمن منيف، أرض السواد، بيروت، 1999.

20. عبد الرحمن نصرت، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ط2، مكتبة الأقصى، عمان، 1982.

21. عبد الله حسين ، المسألة اليهودية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر،2012.

22. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1998.

23. عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

24. عصام عبد العزيز عبد الله، الشخصية اليهودية في مسرح كريستوفر مارلو، المؤتمر السنوي ا(لعربي السابع- الدولي الرابع)، كلية التربية النوعية بالمنصورة، مصر، 2012.

25. ماهر جرار، أرض السواد وخضار السرد قراءة أولى في رواية عبد الرحمن منيف، مجلة الطريق اللبنانية، ع4، 2000.

26. محمد الباردي. حنة، سيرة ذاتية روائية، كتاب الأول دار كنعان للنشر، ط1، 2008.

27. محمود درويش، سيوف من خشب، حديد، الجزء2، 1962،

28. نافزة ناصر، اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس، دار محمد دنديس للنشر، عمان، 2010م.

29. وليام شكسبير، تاجر البندقية، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، مصر الجديدة 1994.

➢ المجلات والجرائد

30. عادل فريجات، صورة اليهودي في الرواية العربية، مجلة المعرفة، شباط، العدد617، 2015.

31. حمد دوابشة وزهور دوابشة، صورة اللآخر في رواية مقدسية أنا المجمع 8-183-202، 2014.

32. مسعود شكري، صورة الآخر الاسرائيلي في رواية" المتشائل لإميل حبيبي، فصلية إضاءات نقدية، السنة 7، العدد 26، صيف 1396ش -2017

➢الرسائل الجامعية

33. شاكر محمود شاكر، اليهودي في الأدب العباسي، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسة العلمية، نابلس، فلسطين، 2014.

34. عالية زروقي، صورة اللآخر في الرواية الجزائرية من سنة 1950إلى 2010، الشلف، أطروحة دكتوراه أدب مقارن، إشراف: عبد القادر توزان، 2017.

35. عبد الرحيم حمدان، اللغة في رواية تجليات الروح للكاتب محمد نصار، قسم اللغة العربية، كلية فلسطين الثقفية/ دير البلح، غزة، فلسطين، 2007.

36. ميساء تحسين، صورة اليهودي في العصر المملوكي الأول648هـ/784هـ)، إشراف رائد عبد الرحيم،أطروحة ماجسترفي اللغة العربية ولآدابها ،جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2013.

37. نظال عباس جبر دويكات، قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة، أطروحة ما جستر، رام الله، فلسطين، 2006.

➢المواقع الالكترونية

38. https://www.arageek.com/bio/ahmed-mourad

39. https://www.elcinema.com/peson/2012950

40. أحمد عزي صغير، بناء الشخصية السردية وأساليب عرضها، قراءة في نصوص روائية معاصرة،2012، https://ar-ar.facebook.com/alamedbag/posts/446574762021192.

41. خضر عباس، خصائص الشخصية اليهودية لدى علماء النفس، https://drallass.wird press.com/2013/01/24.

42. رضا ياسين، قراءة نقدية / متاهات التاريخ في أرض الإله أحمد مراد، www.alraimedai.com/hime/Details?ld=73246713-c2016.

43. سليمان قبيلات، الزغبي وشاهين، يتبعان صورة اليهودي في الأدبين الروسي والانجليزي.alghad.com/article865699

44. شيماء شناوي، أحمد ملاد، 10 سنوات من الإبداع، نشر في 25 أكتوبر2017، www.shourouhnews.com/view.aspx? Adate=25102017&eid=16437a17.

45. صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن دار القلم، دمشق، 1998.

46. عبد الله بن علي الصغير، بنو إسرائيل في القرآن الكريم www.muslim.librazy.com/dl/books/ar1791.pdf .2008

47. علاء هاشم، "تاجر البندقية لشكسبير"، المسرحية المعضلة، مجلّة الطريق، بيروت، لبنان، العدد:12 al-tarik.com/ ?p=246.

48. مكتبة مؤلفات وروايات أحمد مراد، إياد طاهر www.almasaf.com/post/427941.

49. نورة دعاس، صورة اليهود في الرواية العربية، diae.net/42129.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: أحمد مراد وروايته أرض الإله	
1- ترجمة لحياة الكاتب	2
• أ- السيرة الذاتية	2
• ب- أهم إنجازاته	3
2- تقديم عام للرواية	5
• أ- ملخص الرواية	5
• ب- عنوان الرواية	7
• ج- لغة الرواية	7
• د- زمن الرواية ومكانها	8
• هـ- شخصيات الرواية	9
الفصل الثاني: صورة اليهودي عند الشعوب	
1- صورة اليهودي عند العرب	13
1-1- حضور اليهود في الشعر العربي القديم	13
• أ- العصر الجاهلي	13
• ب- عصر صدر الإسلام	14
• ج- العصر العباسي	16
• د- العصر الأندلسي	17
• هـ العصر الحديث والمعاصر	18
2- صورة اليهودي عند الغرب	22
• أ- في الأدب الانجليزي	22
• ب- في الأدب الروسي	25
• ج- في الأدب الفرنسي	26
الفصل الثالث: تعدّد صورة اليهودي في الرواية	

1- الصورة الجسدية	29
• أ – الشخصيات الرئيسية	29
• ب- الشخصيات الثانوية	30
2- الصورة النفسية	32
• أ – الشخصيات الرئيسية	32
• ب- الشخصيات الثانوية	34
3- الصورة الاجتماعية	37
• أ- العقائد والتقاليد الدينية	37
• ب- الصفات اليهودية	38
• ج- صفات الذل والمهانة والجبن	40
• د- قتلة الأنبياء	41
• هـــ- التحريف والتزوير	42
• و- الكفر وفساد العقيدة	44
خاتمة	46
قائمة المصادر والمراجع	49

الملخص:

يحاول البحث النظر في صورة اليهودي كما وردت في رواية "أرض الإله" لأحمد مراد، ويقوم بداية بعرض لحياة الكاتب ومساره الأدبي مع تقديم عام للرّواية، ثم يتحدّث عن هذا الآخر اليهودي في نظر الشعوب العربية و الغربية عبر مجموعة من النماذج.

وينتهي الى بيان صورة اليهودي في رواية "أرض الإله" بتجلياتها المختلفة، الإيجابية والسلبية، مبيّنا الأبعاد النفسية والاجتماعية إضافة الى ملامحها الخارجية، كما أظهرتها الرّواية، وتشير النتائج الى أنّ الكاتب رسم الشخصية اليهودية بصورة لا تختلف كثيرا عن صورة اليهودي في الآداب العالمية.

La recherche tente de regarder l'image du Juif comme décrit dans le roman "La Terre de Dieu" par Ahmed Murad, et présente d'abord la vie de l'écrivain et son chemin littéraire avec une présentation générale du roman, puis parle de cet autre juif aux yeux des peuples arabes et occidentaux à travers une série de modèles. Et se termine par la déclaration de l'image du Juif dans le roman "la terre de Dieu" différentes manifestations, positives et négatives, indiquant les dimensions psychologiques et sociales en plus de ses caractéristiques externes, comme le démontre le roman, Les résultats indiquent que l'écrivain a attiré le caractère juif d'une manière pas très différente de l'image du Juif dans la littérature mondiale.

The research attempts to look at the image of the Jew as described in the novel "The Land of God" by Ahmed Murad, and first presents the life of the writer and his literary path with a general presentation of the novel, and then talks about this Jewish in the eyes of Arab and Western peoples through a series of models.

It ends with the statement of the image of the Jew in the novel "the land of God" with its different manifestations, positive and negative, indicating the psychological and social dimensions in addition to its external features, as demonstrated by the novel.

The results indicate that the writer drew Jewish character in a manner not unlike the image of the Jew in world literature.